فهرس

الجزء الأول من كتاب خاتم النبيين

صفحة		صفحة	
٣	مقدمة	٢٨	تجديد الكعبة سنة ٦٠٥ م
٧	يا بشرى !	٢٩	الأميون والنبي الأمي
٩	الأصنام والأوثان	٣٢	اليهود في بلاد العرب
١١	النسب	٣٤	النصرانية ببلاد العرب
١٢	بشرى !	٣٥	الوثنية
١٤	عبد الله	٣٦	الظلام
١٦	خاتم النبيين	٣٩	الرؤيا
١٩	الرضاعة	٤٠	الوحي
١٩	إلى والدته	٤٢	العزلة
٢٠	إلى جده	٤٤	ليلة القدر
٢١	إلى عمه أبي طالب	٤٦	إلى المنزل
٢٢	إلى الشام	٤٧	إلى ورقة
٢٣	الحرب	٤٩	فترة !
٢٣	حلف الفضول «جمعية الاصلاح»	٥٠	الرسالة
٢٤	إلى اليمن	٥٢	قيام الليل
٢٤	الأمانة «والعصمة»	٥٢	العقائد والتقاليد
٢٦	إلى الشام «مرة ثانية»	٥٤	الأسرة
٢٦	الزواج	٥٥	قريش

صفحة	
٥٥	الجنون
٥٧	كاهن
٥٩	شاعر
٦٠	سحر
٦١	تسعة عشر
٦٢	على الهامش
٦٤	النفس
٦٥	على الهامش
٦٧	إبليس
٧٠	لماذا ؟
٧١	شياطين الانس
٧٢	شياطين قريش
٧٣	العقل
٥٥	على الهامش
٧٦	الهوى
٨٠	بقاء النفوس بعد الموت
٨٢	على الهامش
٨٣	فناء
٨٤	الآخرى
٨٥	بعث ؟
٨٧	لماذا نبعث ؟
٨٨	الجنة والنار

صفحة	
٩٢	حلال وحرام
٩٤	بنات وآلهة
٩٦	التبيت
٩٨	الاضطهاد الديني
٩٩	آل ياسر
٩٩	بلال
١٠٠	أبو بكر وأبوه
١٠٠	مجاهدات صابرات
١٠١	الصبر
١٠٢	دار الأرقم
١٠٣	إلى الحبش
١٠٥	حمزة وابن الخطاب
١٠٦	المقاطعة
١٠٨	على الهامش
١١٠	حاشية
١١١	يطلبون آية
١١٣	يفترحون آيات حسية
١١٦	القرآن
١١٧	معجزة المعجزات
١١٩	شهادة
١٢١	المساواة
١٢٢	وفاة أبي طالب وخديجة

صفحة		صفحة	
١٢٣	إلى الطائف	١٤٤	كتاب الكون
١٢٤	أبو ذر	١٤٥	صفحة من صفحات الكون
١٢٥	بشارات	١٤٩	جاذبية القرآن
١٢٦	الاسراء	١٥٠	القبائل
١٢٨	المعراج	١٥٠	إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم
١٣٠	يسألون اليهود	١٥٠	أهل يثرب
١٣١	إجابة القرآن	١٥٢	أبو بكر
١٣١	من أمر ربى	١٥٤	المؤامرة السرية
١٣٢	غرور	١٥٥	فى الطريق
١٣٣	الغيب أو الآيات المتشابهات	١٥٦	إلى قباء
١٣٤	الصلاة	١٥٧	فى قباء
١٣٧	القرآن والتاريخ	١٥٨	إلى المدينة
١٣٧	حكمة التاريخ	١٦١	دين السلام
١٣٨	نموذج من تاريخ سليمان	١٦٢	دين الأخوة
١٤٠	اليهود قبل الهجرة	١٦٣	إحياء
١٤١	النصارى قبل الهجرة	١٦٤	العمل
١٤٢	ملة إبراهيم أو دين الفطرة	١٦٥	سوق المسلمين

تم الفهرس

المصـــادر

---

١ — أحاديث أصحاب السنن ، ورمز البخارى (خ) ومسلم (م) ولهما معا (ق) وأبى داود (د) والنسائى (ن) والترمذى (ت) وابن ماجه (ج) وأحمد (ح) والطبرى (ط) والحاكم(ك)

٢ — كتب الغزالى : الاحياء ، والمضنون الصغير والكبير وجواهر القرآن

٣ — كتب الأستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا : المنار ، تفسير المنار الوحى المحمدى

٤ — كتب الأستاذ العلامة فريد بك وجدى : التفسير، الاسلام دين خالد

٥ — مركز المرأة فى الاسلام ، على أطلال المذهب المادى

٦ — كتب السيرة : الحلبية ، وابن دحلان ، وابن هشام ، والمواهب اللدنية ، وفاء الوفا

٧ — الاسلام خواطر وسوانح لهنرى دى كاسترى

٨ — حاضر العالم الاسلامى

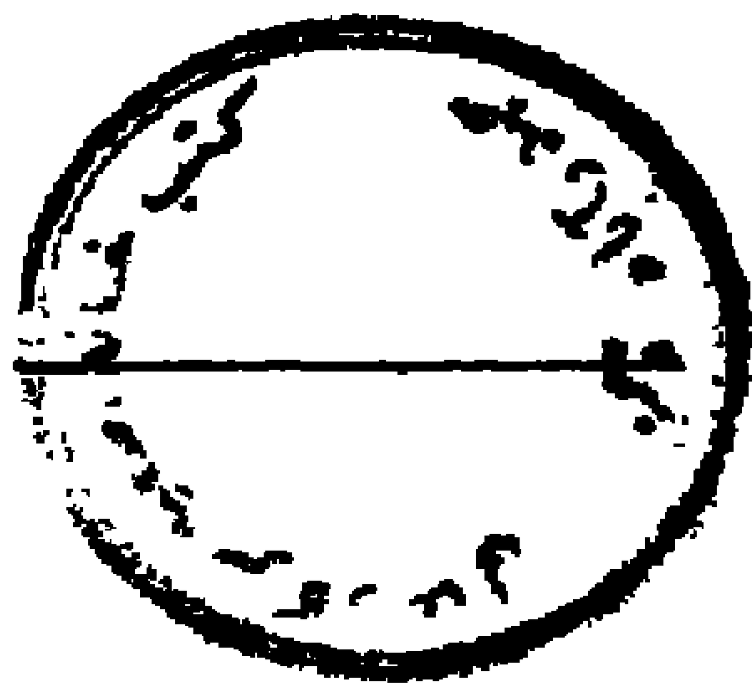
٩ — اعجاز القرآن للأستاذ : صادق مصطفى الرافعى

١٠ — اليهود فى جزيرة العرب للأستاذ : إسرائيل ولفنسون

١١ — إنجيل برنابا ، والعهد القديم ، والعهد الجديد

خاتم النبيين

صلى الله عليه وسلم



تأليف

عبد الغفار الجبار

الطبعـــة الأولى

١٣٥٣ هـ = ١٩٣٥ م

المطبعة المصرية

داخلہ نمبر	
فن نمبر	
کتاب نمبر	

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـــد لله مرسل النور الخالد ليسير فيه من له عينان ، والصلاة والسـلام على رسل الله الذين فتحوا أعيننا وأرونا النور ، وآذاننا وأسمعونا الحكمة ، وعلى الذين أرشدونا إلى ماء الحياة الأبدى ، وقادونا إلى طريق البر والفضيلة ، وعليك أنت إذا وعيت دين الحق ، وفطنت إلى صاحبه ، ودرست حياته مفصـلة كما تدرس حياة أبطال التاريخ ، وكان الأحرى بك أن تعكف على دراسـة الأديان حتى يصلك النور السماوى كما نزل ، وتعـلم كنه الذات الـكاملة كما هى ، وتدين بالدين الصحيح الذى أفاضـه الله تعـالى على بنى الانسان ، فأثمر ما ترى من حضارة تروعك وتأخذ بلبك ، وسيثمر غرساً آخر يراه العالم الآتى بعد «وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ» .

وإنى منذ نعومة أظفارى ظللت بين أحضان الـكتب أسألهـا ، وأمام الأديان أفحصها ، وعند المذاهب أبحثها ، ثم أكببت على القرآن أدرسه دراسة من يريد الاغتراف من مناهله ، والوقوف على أسراره ، واقتناص جواهره . ولا تسلنى عن اللذة التى كنت أجدها ، ولا عن المعانى القدسية التى كانت تلقى فى روعى ، ولا عن الحياة الجديدة التى مشت فى أعصابى ، وكشفت الغطاء عن عينى ، ودفعتنى إلى السير فى طريق الاصلاح والتجديد والنور والحكمة .

ولم أكد أصـل إلى ما وصلت إليـه إلا وقد لاحت منى التفاتة إلى العالم الاسلامى فمـا عرفته ، ولولا أنى من بنيه ما باسمه سميته ، وجدته مستضعفاً

أمام الأجانب وهو الذى وعده الله ، الخلافة فى أرضه « وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخلِفَنَّهُمْ فِى الأرْضِ كما استَخلَفَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الذِى ارتَضَى لَهُمْ : ٥٥ النور » .

ووجدته جاهلا أمام الشعوب ، وهو الذى قلده الله وظيفة هدايتها «وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلَى الخَيْرِ وَيأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ : ١٩ آل عمران» .

ووجدته مفترقاً مختلفاً ، لا يقدّر جنسيته ، ولا يشعر بكرامته ، ولا يسعى إلى وحدته ، وهو الذى حذره الله من الاختلاف والتنازع والذلة والمسكنة «وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إنَّ اللهَ مَعَ الصابِرِينَ : ٤٦ الأنفال » .

« إنَّ الذين فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْء إنَّمَا أمْرُهُمْ إلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كانُوا يَفْعَلُونَ : ١٥٩ الأنعام» .

قال الأستاذ لوثروب مستودارد الأمريكى : « ولما وصلت الحالة فى العالم الاسلامى إلى هذا الحد . . . أدرك قادة الجامعة الاسلامية الحكماء جميع هذا . . . وأدركوا حق الادراك ، أنه إذا رام العالم الاسلامى حقاً تحرير نفسه من النير الغربى ، وتحطيم هذه السلاسل الثقيلة التى يرسف فيها منذ عهد بعيد ، ودك هذه السيطرة دكا ، وجب عليه أن يعمل عملا منظما شاملا ، و يسعى سعياً أكيداً ثابتاً للوحدة العامة والرابطة الكبرى . . . وفوق جميع هذا ، أيقن قادة الجامعة الاسلامية . . . أن استقلال العالم الاسلامى ، عن الغرب النصرانى الاستقلال السياسى يجب على كل حال أن يسبقه التجدد الروحى العقلى العلمى الأدبى والتربية النفسية الصحيحة . وأنه متى صلحت نفوس المسلمين ، وزكت

وطابت واعتزت ، و باتت تعاف الذل وتأبى الضيم ، سهل إذ ذاك كل عمل فى سبيل التحرر والاستقلال»[1] .

وقال المستشرق رتشرد كوتهيل ، الأستاذ فى جامعة كولمبيا : « كان للعربية ماض مجيد ، وفى مذهبي أن سيكون لها مستقبل باهر وليس من وسيلة لاشعال النور الذى سطع فى الأيام الغابرة ، وجعل الشعوب الناطقة بالضاد خلفاً صالحاً لأسلافهم العظام أفضل من درس تاريخ الآباء والأجداد»[2].

وها أنذا من اليوم فصاعداً سأكتب إليك تباعاً أيها الذى أعرض عن دراسة الدين ، ونأى عن تعاليمه ، أكتب إليك ما يملأ قلبك حكمة وهدًى ، وعقلك نوراً وعلماً ، ويسرى فيك حياة .

ولست أؤاخذك بهذا الاعراض ، لأنك لم تجد من قبل للدين إلا كتباً ضخمة كثيرة العدد والعقد ، ألفت فى عصرغير عصرك ، وبأسلوب لم تألفه واصطلاح لا عهد لك به .

كما لست أنحى باللائمة على هـذه الكتب ، ولا على حضرات مؤلفيها السالفين ، لأنهم كتبوا بلسان قومهم ما يلائم بيئتهم فى أيامهم ، ودونوا آراءهم وأبحاثهم ، بأسلوب يوافق العصر الذى كانوا يعيشون فيه .

فاشكر لهم معى هـذه الجهود وتلك المآثر ، إنهم أخذوا عن سالفيهم العظام ، وأرشدوا قومهم الذين عاصروهم وسجلوا كل ماوصلوا إليه فى سجل التاريخ ، فخذ عنهم ما يلائم قومك ، وما أنتم فى حاجة إليه .

---

(١) كتاب حاضر العالم الاسلامى ص ١٠٤ ج ١

(٢) فتاوى كبار الكتاب والادباء لادارة الهلال ص ٧

كن مطمئناً لا تخف ولا تكد فانى ساغوص لك فى محيطاتهم وبحارهم لأخرج اللآلئ لامعة متألقة ، وما تشتهيه نفسك كطلبتك دون كد ينالك أو نصب تضطر إليه .

ستجدنى إن شاء الله آخذاً بيدك إلى الحقائق ، نائياً بك عن كل قتاد وشوك وعقبات وخرافات ، و إنى اليوم سأنزل بك فى عصر الرسالة وسأعرض عليك صوراً لها جميلة صحيحة خالية من التشويه والتخمين والحشو .

وما رأيك فى سِفر يصوغ لك الاسلام فى جوهره النقى الأول قبل أن يشوبه اختلاف أو وهم ، ذلك ما حاولت أن يكون ، ولعلى أكون قد وفقت وما توفيقى إلا بالله .

وإنى ألح على العالم من أقصاه إلى أقصاه أن يتدبر سيرة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم و يوازن بينه وبين من شاء ليعلم من الأحق بالاتباع والأجدر بالرسالة العامة .

أيها العالم استقبل هذا السِّفر بأمل كبير فانه حقاً سيخطو بك خطوات واسعة إلى الحياة والنور ، فكم من فراغ قد سد ، وحاجة كان دونها العناء ، نهضة مباركة مثمرة ستسود مختلف الأبواب ، والله أسأل أن يعيد للاسلام مجده الأوّل ، وينشر رايته على جميع أقطار العالم ، والسلام على من اتبع الهدى ؟

عبد الغفار الجبار

يا بشـــــــــرى !

فى الحجاز قبل الهجرة بنحو خمسة وعشرين قرنا ، أسكن ابراهيمُ رسولُ الله ، زوجتَه هاجرَ المصرية وابنهما إسماعيل ، أسكنهما فى واد غير ذى زرع لا تطمح إليه أنظار الأمم المستعمرة ، ولا يؤمه غير الملبين دعوة الرب ، الذاهبين لزيارة بيته الحرام . وإبراهيم كان يحب الحرية لأنه أبو المسلمين — والمسلم لا يستطيع أن يخدم الله وسيداً آخر — ومن هنا تراه يلح على ربه فى أن يجعل هذا الوادى المقدس آمنا من الجبابرة واستعمارهم ، غير خائف من الدول الطامحة لاسترقاق الأمم واستعبادها «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ : ٣٥ سورة إبراهيم» وقد استجاب الله سبحانه دعوته فعاش سكان الجزيرة العربية أحراراً حتى يومهم هذا ، لم يستذلهم ملك عات ، ولا مستعمر جبار ، بل كان البيت الحرام — ولا يزال — ملجأ الخائف وملاذ العائذ ، وقبلة القاصد «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ؟»

«وعطشت أم إسماعيل (هاجر) وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى فانطلقت كراهية أن تنظر إليه»[1] «ورفعت صوتها وبكت ١٧ فسمع الله صوت الغلام ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : ياهاجر لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ١٨ قومى احملى الغلام وشدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة ١٩ وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت

---

(١) البخارى عن ابن عباس

وملأت القربة ماء وسقت الغلام ٢٠ وكان الله مع الغلام فكبر »[1]

وقال لها الملَكُ : لاتخافوا الضيعة ، فان هٰهُنَا بَيْتَ الله ، يبنى هذا الغلامُ وأبوه وإن الله لا يُضَيِّع أهلَه ... ثم جاء بعد ذلك (إبراهيم) : وإسماعيل يَبرِي نُبْلاً لهُ تحت دوحة قريبا من زمزم ، فلما رآه قام إليه فصَنَعَا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ، ثم قال : يا إسماعيل . إن الله أمرني بأمر قال : فاصنع ما أمرك ربك . قال : وتعينني . قال : وأعينك قال : فان الله أمرني أن أبني ههنا بيتاً (وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها) . فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبنى حتى إذا ارتفع البناء ، جاء بهذا الحجر ، فوضعه ، فقام عليه وهو يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ : ١٢٩ سورة البقرة»[2]

فاستعدوا أيها الشعوب لاستقبال هـذا النبي الآتي اليكم بالنور الأبدي والحكمة التي لا تنضب ، والسعادة التي تنشدونها ، وعلى يديه سيكون خلاصكم كما قال عيسى في انجيله : « ان كلامكم لا يعزيني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور » ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره لأنه هكذا وعد الله أبانا ابراهيم وان مما يعزيني أن

---

(١) سفر التكوين اصحاح ٢١ طبع جمعية التوراة البريطانية
(٢) البخاري عن ابن عباس

لانهاية لدينه لأنه الله سيحفظه صحيحاً — ١٨ حينئذ رنع الجمهور أصواتهم قائلين : يا ألله أرسل لنا رسولك ، يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم (١).

الأصنام والأوثان (٢)

كان ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر — قوما صالحين ، ماتوا فى شهر فجزع عليهم ذوو أقاربهم فقال رجل : ياقوم ؛ هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم ، غير أنى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا ؟ قالوا : نعم . فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل يأتى أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول .. ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد من تعظيم القرن الأول . ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا : ماعظم أولونا هؤلاء الا وهم يرجون شفاعتهم عند الله ، فعبدوهم ، وعظم أمرهم واشتد كفرهم ... ولم يزل أمرهم يشتد حتى أدرك نوح ، فبعثه الله نبياً (٣) .

قال ابن عباس : صارت الأوثان التى كانت تعبد قوم نوح فى العرب بعد (خ) .

إن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام لما سكن مكة ، وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق — ضاقت عليهم مكة

---

(١) انجيل برنابا اصحاح ٩٧

(٢) اذا كان معمولا من خشب أو ذهب أو من فضة على صورة انسان فهو صنم ، واذا كان من حجارة فهو وثن .

(٣) كتاب الاصنام ص ٥٣

ووقعت بينهم الحروب والعداوات ، وأخرج بعضهم بعضاً فتفسحوا فى البلاد والتماس المعاش

وكان الذى سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم ، تعظيما للحرم وصبابة بمكة، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيَمّنًا منهم بها وصبابة بالحرم وحباً له . وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون و يعتمرون على إرث ابراهيم واسماعيل

ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا مااستحبوا ، ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان وصاروا الى ما كانت عليه الأمم من قبلهم ، وانتجثوا (١) ما كان يعبد قوم نوح منها ، على إرث مابقى فيهم من ذكرها . وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفه ومزدلفة وإهداء البدن ، والاهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ماليس منه ...

فكان أول من غير دين اسماعيل ؛ عمرو بن لُحَىّ ، وهو ابو خزاعة (قبيلة) وكانت أم عمرو بن لحى بنت عمرو بن الحارث (من قبيلة جرهم)

وكان الحارث هو الذى يلى أمر الكعبة ، فلما بلغ عمرو بن لحى قاتله فى الولاية وقاتل جرهما بنى اسماعيل . فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت بعدهم (٢)

واستمرت ولاية البيت مع قبيلة خزاعة حتى أخذها منهم قصى الاسماعيلى

---

(١) انتجثوا : استخرجوا
(٢) كتاب الاصنام ص ٨

النسب

وظل بنو إسماعيل محافظين على نسبهم الذى به عزتهم وفخرهم ، فعاشوا عيشة قداسة وعفة ، وكانوا أكثر القبائل تمسكا بما ورثوه عن جدهم إسماعيل

واشتهر منهم عدنان الذى تنتسب اليه أكثر قبائل الحجاز ، وعدنان ولد معدا ، ومعد ولد نزارا ، ونزار ولد مضرا ، ومضر ولد اليأس ، والياس ولد مدركة ، ومدركة ولد خزيمة ، وخزيمة ولد كنانة ، وكنانة ولد النضر ، والنضر ولد مالكا ، ومالك ولد فهرا (قريشاً) الذى سميت القبيلة التى نسلها باسمه ، فقيل : قبيلة قريش وكان فى القرن الثالث من الميلاد .

وفهر ولد غالباً ، وغالب ولد لؤيا ، ولؤى ولد كعبا ، وكعب ولد مرة ، ومرة ولد كلابا ، وكلاب ولد قصيا . الذى انتزع ولاية بيت الله من قبيلة خزاعة قوم عمرو بن لُحَىّ فى القرن الخامس الميلاى . ثم بنى ناديا بابه الى المسجد وسماه دار الندوة ، واجتمعت اليه قبائل قريش المتفرقة وسكنت معه فى مكة. وقام باطعام فقراء الحاج وسقايتهم ، وفرض على قريش قبيلته خراجا يؤدونه لذلك كل عام

وقصى ولد عبد مناف ، ونوفلا والمطلب وعبد شمس والد أمية الذى هو جد الدولة الأموية . وعبد مناف ولد هاشما ، وهاشم ولد عبد المطلب الذى نذر إن ولد له عشرة أولاد ليذبحن أحدهم عند الكعبة أمام الآلهة على حسب عادتهم من تقديم القرابين لها حتى من بنى الانسان . فلما كملوا عشرة ضرب عليهم القداح عند هبل الصنم الأكبر فخرجت القرعة على ابنه عبد الله ، فأشارت عليه قريش أن يستفتى عرافة فأشارت عليه بفدائه بالابل ففداه بمائة

بشرى!

فى القرن السادس الميلادى أرادت دولة الرومان العظيمة . أن تنشر نفوذها فى الشرق كله ، ولكن مملكة اليمن العربية الواقعة على المحيط الهندى ضايقتها فى تسيارها . فأوعزت الدولة الرومانية الى مملكة الحبش التى تدين بالنصرانية معها . بالاستيلاء على اليمن ، ففتح ملك الحبش اليمن بحملة كبيرة وغلبهم على أمرهم ، وولى عليهم أميرا مسيحيا اسمه (أبرهة) — وكانت باليمن يهود فوقعت المناقشات الحادة بينهم و بين النصارى الفاتحين

وبنى أبرهة بصنعاء كنيسة كبيرة سماها (القليس) — ودعا العرب الى حجها بدلا من الكعبة لتتحول اليه الثروة التجارية التى تأتى مكة كل عام فى موسم الحج من جميع الآفاق العربية ، ولكى يتنصر العرب فيدينون بالصليب والتثليث بدلا من الوثنية . وبعد جهد ظهر له أن ذلك خيال ووهم مادامت الكعبة على ظهر الأرض ، وهاهم أولاء لم يحفلوا بدعوته ولم يكترثوا بكنيسته بل سخروا منها ولطخوها بالأقذار . غضب أبرهة وحلف ليسيرن الى الكعبة ليهدمها ، وتوجه بجيش جرار ومعه فيل أو فيلة على عادة الأحباش ، ولم تكد تسمع العرب بهذه القارعة حتى لجأوا الى المغارات والكهوف وهم يفرقون ، وتشجع بعضهم فأحب أن يقاوم الحماة ولكن سرعان ما انهزم أمام هذا الجيش المحطم .

ولما دنت الحملة من مكة أرسل أبرهة الى أهلها قائلا : ماجئت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فقالوا : مانريد حربه ومالنا بذلك من طاقة ، وأمرهم شريفهم عبد المطلب بن هاشم بالخروج ، ليتحرزوا فى الجبال فولوا اليها

أيتركون الكعبة بيت آلهتهم ودار مجدهم ، ومناط آمالهم ، وتاج فخرهم !!؟ أيتركونها للجيش الحبشي يسوى بها الأرض ويكسر الآلهة ؟! ألم يكن فى شبه الجزيرة الطويلة العريضة ذات الحمية والأنفة — روح تجمعهم ضد هذا العدو الأجنبي الذى سيسجل عليهم العار الأبدى . إن العرب يومئذ قبائل متقاطعة متدابرة ، يقاتل بعضهم بعضا لأقل الأسباب .

إن الله يريد أن يرى العالم أجمع عجز العرب جميعا عن جيش يتوغل فى الصحراء ويجرؤ هذه الجرأة .

هنا نعرف مقدرة العرب قبل الاسلام وبعده .

تركوا البيت المقدس ، ولكن الرب لم يتركه ، كيف وهو قد بعث اليوم نوره من آمنة بين أحضان هذا الحرم ، أليست تلك الكعبة مطلع هذا النور القدسى ؟ . الحق أن الله ابتدأ ينصر أمة هذا الجنين صلى الله عليه وسلم وهو فى بطن أمه على أمة الصليب والتثليث . فاستبشرى من الآن ايتها الأمة العربية بشروق شمس الحياة والحكمة والنصر المبين .

فشا فى جند الحبشي داء الجدرى والحصبة قال عكرمة : وهو أول جدرى ظهر ببلاد العرب . وقال يعقوب بن عتبة فيما حدث : إن أول ما رؤيت الحصبة والجدرى ببلاد العرب ذلك العام .

وقد فعل ذلك الوباء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله !! فكان لحمهم يتناثر ويتساقط ، فذعر الجيش وصاحبه وولوا هاربين ، وأصيب الحبشي ولم يزل يسقط لحمه ، قطعة قطعة ، وأنملة أنملة ، حتى انصدع صدره ومات فى صنعاء . هذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به . وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة (سورة الفيل) أن ذلك الجدرى أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير ،

مما يرسله الله مع الريح .. وليس فى الكون قوة إلا وهى خاضعة لقوته ، فهذا الطاغية الذى أراد أن يهدم البيت أرسل الله عليه من الطير ما يوصل اليه مادة الجدرى أو الحصبة فأهلكته وأهلكت قومه قبل أن يدخل مكة ، وهى نعمة من الله غمر بها أهل حرمه على وثنيتهم حفظا لبيته حتى يرسل من يحميه بقوة دينه صلى الله عليه وسلم (١).

قال عيسى النبي عليه السلام «١٩ إن رسول الله بها . . — ٢٠ لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة ٢١ روح الحكمة والقوة ٢٢ روح الخوف والمحبة ٢٣ روح التبصر والاعتدال ٢٤ مزدان روح المحبة والرحمة ٢٥ روح العدل والتقوى ٢٧ ماأسعد الزمن الذى سيأتى فيه إلى العالم»(٢)

عبــــد الله

احتفلت مكة بزواج عبد الله بن عبدالمطلب بآمنة بنت وهب(٣) قريبته ، ودخل العروس بعروسه وهما فى ريعان شبابهما ، وقد تجسمت السعادة أمام أعينهما ، ورفرفت الفضيلة فوق رءوسهما .

وشمر عبد الله عن ساعد جده وذهب الى الشام كعادة الأشراف ، وأضحت زوجته ترقب حضوره ، وبينما هى تتأهب للقائه وإذا بالناعى ينعيه لها ويخبرها بموته فى الطريق ، فبكت ماشاء الله أن تبكى .

مات عبد الله ولم يترك لزوجته سوى خمسة جمال وبضع نعاج وجارية تسمى أم أيمن .

---

(١) الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى تفسير سورة الفيل
(٢) انجيل برنابا اصحاح ٤٤
(٣) وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وزهرة أخو قصى ، وكلاهما ابنا حكيم الجد الخامس للنبي

مات عبد الله شابا يافعا وترك زوجته إرملة حديثة السن تندبه وتذكر شمائله ، ولكن الذى أنساها مصيبتها حملها ، ولم تشعر فى هذا الحمل بثقل ولا وحم ورأت فى نومها نوراً أضاءت له بصرى من أرض الشام .

لعل هذا المولود يخلف والده ويكون له شأن عظيم ! فظلت آمنة تنتظر اليوم الذى تكون فيه أما وترى لها ابنا تتوسم فيه صورة والده . بشراك يا آمنة فانك تحملين النور الأعظم الذى سيضىء على الآفاق والانسان الكامل الذى ينتظره سكان السموات والأرض، ورسول الله الذى يبين كل شىء للأمم . ويصلح أمرها ، ويشفى أمراضها ، ويأخذ بيدها من الظلمات الى النور .

أنت حبلى بخاتم النبيين فهنيئاً لك ياوالدة رسول الله ! !

هاقد تمت نبوة النبي عيسى عليه السلام القائل : ٣ أيها الأخوة إن سبق الاصطفاء لسر عظيم حتى أنى أقول لكم : إنه لايعلمه جليا الا إنسان واحد فقط ٤ وهو الذى تتطلع اليه الأمم ، الذى تجلى له أسرار الله تجليا فطوبى للذين سيصيخون السمع الى كلامه متى جاء الى العالم . .

٧ أجاب التلاميذ : يامعلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذى تتكلم عنه الذى سيأتى الى العالم ؟

٨ أجاب يسوع بابتهاج قلب : إنه محمد رسول الله ٩ ومتى جاء الى العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة الغزيرة الذى يأتى بها ١٠ كما يجعل المطر الأرض تعطى ثمرا بعد انقطاع المطر زمنا طويلا ! ! فهو غمامة بيضاء ملأى برحمة الله ، وهى رحمة ينثرها الله رذاذا على المؤمنين كالغيث» (١)

---

(١) انجيل برنابا اصحاح ١٦٣

خاتم النبيــــين

فى ليلة الاثنين التاسع أو الثانى عشر من ربيع الأول عام الفيل (٢٠ ابريل سنة ٥٧١) رأت آمنة نورا أضاءت له قصور الشام ووضعت ابنا جميل الصورة سماه جده محمدا رجاء أن يأتى من الأعمال مايحمد عليه .

هللوا ياملائكة السماء ، فقد ولد الذى ينشىء من قلوب بنى آدم ملائكة أطهارا مثلكم ، اشكروا الرب واعرفوه ياأيها الناس فقد جاءكم الذى يفتح أعينكم العمى وآذانكم الصم وقلوبكم الغلف .

اهتزى طربا أيتها الكعبة فانك ستكونين مقصد آمال أمم الله ! ! نكسى رءوسك أيتها الآلهة فقد ولد الذى سيمحوك من الوجود ويجعلك أثرا بعد عين ! !

ارتجس ياإيوان كسرى ، وتساقطى ياشرفاته فان الأمة الأمية ستملكك الى الأبد بظهور هذا المولود الذى يملأ الأرض نورا وحكمة ، كما ملئت ظلاما وجهلا !

انهزمى يادولة الرومان فقد ظهر ملك الختان (١)

تعالوا يا أهل الكتب السالفة ، الى هـذا النور العالمى ، الذى يغنى عما فى أيديكم من شموع لا تلبث أن تتلاشى أمام شمسه الوضاءة «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ

---

(١) رأى هرقل أن ملك الختان قد ظهر كما ترى فى البخارى

مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ١٥ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٦ المائدة»

الحق أقول لكم يا أهل التوراه والانجيل : إن أنبياءكم لو أدركوا هذا النبي لاتبعوه ، وحقيق به أن يكون إماما لهم فهو المثل الأعلى لجميع الرسل والأنبياء والمصلحين ولذا كان خاتمهم، والشريعة لاتختم إلا إذا كملت، والكمال هو المقصود الأول وقديماً قالوا أول الفكر آخر العمل ، فمحمد هو الانسان الكامل وشريعته المقدسة هى الباقية «إن مقصود فطرة الآدميين ، إدراكهم سعادة القرب من الحضرة الالهية ، ولم يكن ذلك الا بتعريف الأنبياء،وكانت النبوة مقصودة بالايجاد ، والمقصود كمالها وغايتها لا أولها ، وإنما تكمل بحسب سنة الله تعالى بالتدريج ؛ كما تكمل عمارة بالتدريج ، فتمهد أصلُ النبوة بآدم ، ولم يزل ينمو ويكملُ حتى بلغ الكمال بمحمد صلى الله عليه وسلم — وكان المقصود كمال النبوة وغايتها — وتمهيد أوائلها وسيلة إليها كتأسيس البنيان ، وتمهيد أصول الحيطان فانه وسيلة إلى كمال صورة الدار — ولهذا السر كان صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، فان الزيادة على الكمال نقصان ، وكمال شكل الآلة الباطشة كف عليه خمس أصابع، فكأن ذا الأصابع الأربعة ناقص ، فذو الأصابع الستة ناقص ؛ لأن السادسة زيادة على الكفاية فهو نقصان فى الحقيقة ، وإن كانت زيادة فى الصورة وإليه الاشارة بقوله عليه السلام «مَثَلُ النُّبُوَّةِ كَمَثَلِ دَارٍ مَعْمُورَةٍ لَمْ يَبْقَ فِيهَا إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ فَكُنْتُ أَنَا مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبِنَةِ » ... (خ)

فافتقدته فلم تجده ومادرت أين هو ؟ فأرسل جده من يبحث عنه فاذا هو فى أعلى مكة تحت شجرة يجذب غصنا من أغصانها ؛ لأنه قد نشأ محبا للعزلة منذ برز الى الوجود ، حتى أنه كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيتجنبهم .

وبقى النبي صلى الله عليه وسلم فى بيت والدته تظلله بجناح رحمتها ، وكان أعظم ما يؤنسها ويروح عنها رؤيتها له غاديا ورائحا أمامها ، وكان يلذ لها كثيرا الحديث عنه وعن مستقبل حياته ، وقدرأته ينمو ويترعرع و يتلألأ وجهه بنور ملائكى ، مباركا من الرب أينما ذهب ، وحيثما حل .

خرجت به أمه إلى أخوال جده بيثرب تزورهم ومعهما جاريتهما أم أيمن فمكثوا هنالك شهرا ، وامتلأت عين النبي صلى الله عليه وسلم بمنازل أخواله وكان يستحم مع الأطفال فى الآبار ويحسن العوم . وفى أثناء رجوعها إلى مكة مرضت مرضا شديدا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم إلى رأسها وهو يردد النظر إلى وجهها ... ثم عانقها فقبلته وقالت : وافرقتاه ، واحسرتاه . . . ثم أدركها الموت فى الطريق .

و بذلك أصبح النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى السادسة من عمره يتيما ، قد فقد أبويه كليهما ، ولكن الله كان معه وهو حاميه وكافله ، وكفى به حاميا وكفيلا . إن النبي صلى الله عليه وسلم ليس فى حاجة إلى أب يقوم بالانفاق عليه ، ولا أم تحنو ضلوعها عليه ، فان الله جل شأنه قد تعهد برزقه وشمله بعنايته ولطفه .

إلى جده

حضنت أم أيمن النبي صلى الله عليه وسلم ، واحتملته إلى جده عبد المطلب بمكة ، فضمه إليه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده ، حتى أنه كان لا يأكل طعاما

إلا ويؤثره بأطيبه ، وكان دائما يجلسه بجانبه ويقعده على فخذه أينما سار ، ويتوسم فيه خيرا ويرجو له مستقبلا عظيما .

وكان يوضع له فراش فى ظل الكعبة ، لايجلس عليه أحد غيره ، و عظماء قريش حوله دون المفرش ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم وهو صبي يأتى بجراءة فيجلس على فراش جده ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيسر جده مايراه يصنع ويقول لهم : دعوه فانه يحس من نفسه بشرف . وهكذا أنس النبي صلى الله عليه وسلم بجده سنتين ، ولكن الله الذى أخذ والديه إلى جواره أضاف إليهما جده ، ليخص سبحانه نبيه بحبه وولائه ، وليعدد نعمه عليه فيما بعد قائلا : «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى» ومات عبد المطلب سنة ٥٧٩ م . وقد بقى برأس مكة نحو تسع وخمسين سنة ، وترك أبناء وبنات كثيرون ، اشتهر منهم ، أبو طالب ، والعباس ، وحمزة ، وأبو لهب ، واشترك فى تشييع جنازته كثير من القبائل العربية ، وكان حفيده النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى السنة الثامنة من عمره يبكى خلف نعشه وينتحب ، والعرب تؤبنه وترثيه

إلى عمه أبى طالب

وكفله عمه أبو طالب ، وكان يحبه ويمنحه من عطفه وحنانه مايمنح ولده ويقول له : «إنك لمبارك»

واعتاد أن يقرب إلى الصبيان الفطور صباحا ؛ فيمدون أيديهم ويتهبون ويكف النبي صلى الله عليه وسلم يده ولا ينتهب قناعة واستحياء ! — فلما شاهد عمه ذلك ، عزل له فطوره على حدته ! .

وكان أبو طالب قليل المال كثير العيال ، فعز على النبي صلى الله عليه

وسلم فقر عمه وإعساره فصار يرعى له غنمه أو يرعاها لأهل مكة بالأجرة؛ كما كان أخوه موسى يرعاها في مدين بالأجرة وداود في بيت لحم كذلك — وهؤلاء الثلاثة محمد وموسى وداود قادوا أمما عظيمة فيما بعد — وغيرهم من الانبياء قد رعى كما تحدثك الديانات . وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينمو ويتقوى ، مؤيدا بروح من الله — وكل من يراه تقع محبته في قلبه ، و يثني عليه بالجميل لانه كان حسن الصورة مباركا طيب النفس .

إلى الشـــام

«ضرب القرشيون بسهم كبير في التجارة ، فذهبوا بقوافلهم إلى الشام مرة في فصل الصيف ، وأخرى الى اليمن في فصل الشتاء من كل عام — وكان الطريق التجاري مهددا بالسلب والنهب ، ولكن حرمة العرب للكعبة وتعظيمهم لقريش سدنتها — جعلتهم ينظرون إليهم بعين التقديس ويؤمنون تجارتهـــم»

وقد كان لهذه التجارة أثر كبير في أهل مكة حتى أثرى كثير منهم ، واقتنوا الأموال والضياع والعبيد « لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ والصَّيْفِ ٢ فلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـٰذَا الْبَيْتِ ٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ٤ قريش» وتأهب أبو طالب للسفر مع القافلة الذاهبة إلى الشام ، فأظهر النبي صلى الله عليه وسلم رغبته في مصاحبته وهو يومئذ في السنة التاسعة أو الثانية عشرة على الأكثر ، وقال له : « ياعم إلى من تكلني لا أب لي ولا أم ؟ » وكان أبو طالب يحبه ولا يكاد يفارقه ؛ فاستصحبه معه وأردفه خلفه على بعيره ، فسارت القافلة في خلال الصحراء تقطع هذه الأنحاء

المتنائية ، حتى نزلت بسوق بصرى فباعت وابتاعت . ويقال— والله أعلم — أن راهبا يسمى بحيرا ، التقى بتلك القافلة ورأى في النبي صلى الله عليه وسلم علامات الرسالة كما تدله أنباء كتبه . والحق أن أهل التوراة والانجيل ، كانوا ينتظرون نبيا يصلح هذا الفساد الذى خيم على المسكونة ، ويظهر للناس الحق الذى غاب عنهم حتى ضلوا فى مفترق الطرق .

وكان أهل العلم والدراية يعلمون أنه من نسل إسماعيل كما ورد فى كتبهم وراجع إن شئت كتاب «إظهار الحق» لرحمة الله الهندى أو تفسير المنار للاستاذ العلامة الشيخ السيد رشيد رضا

الحـــــرب

ووقعت الحرب بين قبيلة كنانة وقبيلة هوازن ، وانضمت قريش الى الأولى ووقف النبي صلى الله عليه وسلم — وقد بلغ رشده — بجانب أعمامه يمنع عنهم النبل ووضعت الحرب أوزارها واصطلحوا .

حلف الفضول «جمعية الاصلاح»

تكونت جمعية من أشراف قريش عندما شاهدوا وقوع حوادث وحروب فى كل موسم من مواسم الحج عند اجتماع القبائل ؛ لأنهم رأوا أن وقوع تلك المجازر المتوالية فى الأشهر الحرم ، والأرض الحرام مما يسبب ذهاب هذه الحرمة ويقلل الوافدين إلى مكة للحج والتجارة .

قامت تلك الجمعية ، بإيقاف شهوات القرشيين إزاء الوافدات من النساء للحج . اغتصب أحدهم بنتا ذات جمال رائع وهى تطوف بالبيت ، فتدخلت الجمعية وردتها الى أبيها ، ولولاها لحدثت حروب كما فى السنوات الماضية .

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن من أعضاء هذه الجمعية ولكنه شاهدها ، ومدحها بعد الاسلام .

إلى اليمن

وسافر النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى السابعة عشر مع عميه الزبير والعباس الى اليمن بتجارة . فمرت القافلة بواد فيه فحل من الابل قد جمح وتوحش ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كبح جماحه .

ولما رجعوا مروا بواد ملىء ماء يتدفق ، فهابوا اجتيازه ولكن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «اتبعونى اتبعونى» ثم اقتحمه فجاوزوه بسلام — لاشك أنهم عجبوا من هذا الاقدام وتحدثوا به فى مكة

الأمانة «العصمة»

وسار النبي صلى الله عليه وسلم فى طريق مستقيم غير طرق قومه المعوجة : فهم ينغمسون فى الملذات ، ويعكفون على الشهوات ويغازلون الفتيات ، ويرتشفون كؤوس الخمر ، ويلعبون الميسر ، ويخوضون فى شتى الأحاديث ، ويفاخرون بأحسابهم وانسابهم وأموالهم وعشيرتهم ، ويحرصون على جمع الأموال من كل باب ، ويعبدون الأوثان ويقربون لها القرابين حتى من بنى الانسان ، ويملؤون أذهانهم بالأساطير والخزعبلات .

أما النبي صلى الله عليه وسلم فكان يحمل بين جنبيه نفسا عظيمة لا تحفل بهذه الأعراض الفانية ولا تعنى بمثل هذه المهازل ، والتاريخ يحدثنا أنه صلى الله عليه وسلم كان متصفا بأعلى صفات الكمال : فخمرا ومسكرا لايشرب ،

وميسرا لا يلعب ، وللأوثان لا يسجد ولا يعبد ، وعن اللغو واللهو قد أعرض ونأى بجانبه .

سبحانك اللهم فقد أودعت هـذا الانسان الكامل نفسا قدسية كبيرة — وأنت سبحانك تعلم أين تجعل رسالتك وقد قلت : « لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » إنك يارب أدبته فأحسنت تأديبه وتأديبك بلا شك يفوق تأديب المربين قاطبة هاهو ذا لم يسجد لمعبود سواك ولم يخالط قلبه حب غيرك . ألح عليه مرة عمه أبو طالب أن يحضر معهم عيد الصنم «بوانه» إله قريش الخاص ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أبى وأصر على إبائه فغضبت أسرته عليه وهددته ، وحذرته من كيد الآلهـة قائلة له : «إنا نخاف عليك من اجتناب آلهتنا ، ألا تريد أن تحضر عيد قومك فتكثر جمعهم» وأجبروه على الذهاب ، فسار مكرها وما كاد يدنو من صنمهم حتى أظلمت الدنيا فى وجهه ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت وأحس بصوت يقول له : «لا تمسه لا تمسه» فولى مدبرا ولم يعقب ورجع طاهر النفس كما جاء . لك الشكر أيها الرب العظيم فكما نشأته موحدا ربيته طاهرا لم يقترف إثما قط حتى أن الهواجس كانت بعيدة عن ذاته القدسية ترهب الدنو منها . وقد عصمته يارب وهو يُصنع على عينك ومراقبتك لأنك احترته لنفسك ،

قال يوما وهو يرعى الغنم لرفيق له : « أبصر لى غنمى حتى أذهب إلى الفتيان فأصنع مثل ما يصنعون » فلما دنا من دور مكة سمع غناء وصوت دفوف ومزامير ورقص فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : «عرس فى قريش» فشعر توا بدوار فى رأسه ونوم يغالبه فما استيقظ إلا حين أن لفحت الشمس بشرته .

لك الحمد ياقدوس فقد عصمته وأنت تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم .

إلى الشام «مرة ثانية»

كانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن منهم تاجرا فليس عندهم بشيء . وكانت خديجة بنت خويلد أرملة ذات شرف ومال كثير تبعث رجالا من قومها يتجرون في مالها بشيء تجعله لهم ، فلما سرى إلى أذنيها صيت النبي صلى الله عليه وسلم وأمانته وسمعت بأخلاقه وعفته ، وعلمت أن له رغبة فى التجارة ولكن تعوزه المادة — أرسلت إليه ليخرج بمالها مع القافلة الذاهبة إلى الشام على أن تعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار .

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم مع خادمها (ميسرة) واجتازت القافلة سهول الجزيرة المنخفضة وهضابها العالية و رمالها المحرقة ، وأرضها المجدبة ورجع النبي صلى الله عليه وسلم من سفره رابحا هانئا ، وقد سرت خديجة بربح تجارتها كما قد أعجبتها نزاهة النبي وأمانته ، حتى أصبح موضع ثقتها ، وأخذ خادمها يحدثها بما رأى من وداعته وإكرام الناس له وثناؤهم عليه .

الزواج

إن خديجة لم تر عيناها تاجر يماثل النبي صلى الله عليه وسلم وأتى لها بمثله ؟ وهل أحد يستطيع أن ينال ما نال من أدب إلهى وخلق عظيم ؟

وكانت خديجة سيدة ذات جمال وشرف وقد بلغت الأربعين ، ومن قبل تزوجت رجلين وماتا تاركين لها شابين وبنتا كما تركا لها مالا زاد فى ثروتها ، وجعلها من أغنى أهل مكة .

وكل قومها كان حريصا على زواجها ، وقد طلبوها فأبت ، ولكن النبي

صلى الله عليه وسلم أعجبها فى كل شىء فرأت أن ترسل إليه خفية قريبات له يرغبنه فى زواجها .

وبينما كان النبى صلى الله عليه وسلم يعيش عيشته الهادئة غير مفكر فى شىء متجنبا جهده أن يخالط الناس ، أو أن يطمح إلى شىء مما فى أيديهم ، وإنه لكذلك وإذا باحدى رسل خديجة تلح عليه ، وتحدثه فى إحجامه عن الزواج وقد بلغ الخامسة والعشرين ، فما كان جوابه إلا أن قال : «ما بيدى ما أتزوج به» . . قالت : «أرأيت إن دعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة أفلا تجيب ؟» قال : «فمن هى ؟» قالت : «خديجة» فقبل واغتبط . واحتفلت مكة بعقد قرانهما وقام عمه أبو طالب خطيبا فقال : «الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل . . . وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا ، وجعلنا الحكام على الناس . ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوازن برجل إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا . فان كان فى المال قل ، فان المال ظل زائل . وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله كذا» وقام وليها خطيبا فألقى خطبته وتم عقد الزواج .

طارت خديجة فرحا وأمرت جواريها أن يرقصن طربا ويضربن على الدفوف وفى يوم العرس صنع أبو طالب وليمة عظيمة دعا إليها الناس .

وظلت صلات الزوجين خير مثل لما يجب أن يكون بين كل زوجين من مودة ورحمة .

وولدت خديجة للنبى القاسم ، ولكنه لم يلبث قليلا حتى جاور ربه ولكن الله أعاضهما بأربع بنات متواليات لم يتن إلا بعد الهجرة (رقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة) ثم وهبهما سبحانه عبد الله بعد البعثة وقد مات صغيرا .

فهذه أولاد النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة بأسمائهم ، وقد علمت أنه لم يمت منهم قبل البعثة أحد غير القاسم . ويزعم بعضهم أنهما رزقا توأمين وماتا فى مهدهما قبل البعثة أيضا ، ولكن التاريخ يشك فى وجودهما .

وخديجة كان لها شابان من زوجيها المتوفيين فهى راضية بما أعطيت . واشترت خديجة مملوكا صغيرا عربيا من السوق يسمى زيدا ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره الرق فسألها إعتاقه ، فوهبته له فأعتقه وخيره بين أن يرده إلى أهله أو أن يبقيه عنده فاختاره عليهم .

فسمته قريش زيد بن محمد على عادتهم فى هذا الحين .

تجديد الكعبة سنه ٦٠٥ م

وأرادت جدر الكعبة أن تنقض لتطاول العهد ولاجتياز السيل الذى لم يستطع أحد حجزه عنها هذا وقد احترقت كسوتها بشرر تطاير من البخور . فأجمعوا أمرهم على تشييدها من جديد ولكنهم هابوا هدمها كيف لا ؟ وما زال شبح أصحاب الفيل أمام أعينهم وذكر ما حل بهم على ألسنتهم . لكن الوليد بن المغيرة أخذ معوله وابتدأ فى هدمها وهو يقول :

«اللهم . لم نزغ ، لا نريد إلا الخير» فتوقع الشعب هلاكه ليانه ، فلما أصبح سالما انضموا إليه وأتوا بنيانها من القواعد . ويقال إنهم عثروا تحت أساسها على ثلاثة أحجار مكتوب فيها بعض حكم وأمثال وآثار تاريخية .

ومن حسن حظهم ، رمى البحر الأحمر إليهم سفينة وكان فيها خشب كما كان فيها صانع ماهر يحسن النجارة والبناء .

وجزأوا عمارتها فقامت كل أسرة ببناء ناحية ، وذهب عباس وابن أخيه

محمد ينقلان الحجارة فقال عباس : «يا محمد اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة» فخر الى الأرض ، وطمحت عيناه الى السماء ، ثم أفاق فقال : «إزارى إزارى فشد عليه إزاره» (خ)(١)

شيدت الكعبة من جديد وجعل ارتفاعها ضعف ما كانت عليه ، ورفع بابها عن الأرض بعد أن كان لاصقا بها ، حتى لا يستطيع أحد دخوله إلا بعد أن يصعد على درج .

ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود المقدس ، تنازعوا : كل قبيلة تريد أن تختص برفعه إلى مكانه وحدها دون الأخرى . وكادت نار الحرب تضطرم لولا أن أشار عليهم شيخ كبير بأن يجعلوا أول من يدخل المسجد من باب السلام حكما بينهم .

ومن غريب المصادفات أن أول من دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ فى الخامسة والثلاثين ، فلما رأوه قالوا : «هذا الأمين رضينا ، هذا محمد»

فطلب صلى الله عليه وسلم ثوبا ، ثم وضع الحجر فى وسطه وقال : «لتأخذ كل قبيلة منه بناحية» فشكروا له تلك الفكرة التى أعادت الأمن الى نصابه .

ثم كسوا الكعبة وعلقوا الصور على حيطانها ووضعوا التماثيل والآلهة كما كانت قبل .

الأميون والنبي الأمى

العرب أميون لا يقرأون ولا يكتبون ، ليس لهم علوم الأمم ، إنما لهم أدب يروونه ، ونسب يحفظونه ، وتجارب استفادوها . وكل هذا لم يدون فى الكتب .

---

(١) فالله سبحانه وتعالى يحفظ نبيه قبل البعثة وبعدها من أن يكشف جسمه كما ترى

لهم دين وثنى له عقائد وأساطير وتقاليد ولكنه لم يدون فى الكتب أيضا مع أن لكل دين فى أى أمة كتبا مقدسة :

نعم تعلم أفراد منهم القراءة والكتابة واطلعوا على نتف من أهل الكتاب ولكن ذلك لم يصل إلى درجة تسمى علما فاحدهم لا يزيد عن طفل عرف الحروف الأبجدية وكيف يجمعها قراءة وكتابة ، أو خرافات تناثرت إلى سمعه . وهذا لا يخرجه عن كونه أميا .

فالعرب أميون والنبي صلى الله عليه وسلم أشد أمية منهم : كان فيهم من ينظم الشعر ولكنه صلى الله عليه وسلم لم ينظم أبدا ، كان فيهم الخطباء الذين يعظونهم فى المجامع والأسواق ولكنه لم يخطب قط ، كان فيهم النسابون الذين يعون الأنساب مسلسلة فى صدورهم، ويحدثونك ولكنه لم يحفل بشيء من ذلك البتة .

التاريخ متواتر بعزلته ورعيه الغنم وأمته · ولو تعلم شيئاً أو درس شيئا أو قرأ شيئا لنقل إلينا .

الحق أن التاريخ لم يعرف سيرة نبي منذ برز إلى الوجود إلى بعثته كالنبي الأمى صلى الله عليه وسلم فهذا موسى لم نعرف نحن ولا اليهود شيئا عن خطوات سيره اللهم إلا مولده ونجاته من فرعون ثم قتله القبطى ثم سكناه فى مدين ثم بعثته .

وكذلك عيسى لم تحدثنا الأناجيل إلا عن مولده ثم بعثته أما هذه الحلقة من المولد إلى البعثة فمقطوعة ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم يسرد لك التاريخ حياته حلقة حلقة بدون انقطاع «أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ » ؟

هذا وموسى قد تربى بين أحضان مصر المتحضرة ثم عند شعيب النبي فى مدين وعيسى تربى فى مصر ثم بين أحضان الشريعة الموسوية ، أما النبي فبين

أحضان الأميين تربى وفى عزلته نشأ ، ولم يرحل عن بلدته إلا ثلاث مرات اثنتين إلى الشام وواحدة إلى اليمن كما عرفت ولم يمكث هنالك إلا أياما ففى أى كلية وعلى مَنْ مِنَ الأساتذة تلقى هذا العلم المحيط الذى لن يصل إليه سا كنو السموات والأرض « حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ »

الحق ما رأينا أحدا وصل إلى درجة فى الأمية من النبى صلى الله عليه وسلم فنفسه القدسية ظلت صفحة بيضاء لم ينقش عليها حرف من ترهات الأمم وأساطيرها حتى نقش فيها الحق آيات النور والحكمة « وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ »

وظلت أمته أمية أيضا حتى عكس عليها ذلك النور فانطبع فى مرآتها وأضاءت العالم «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ »

قال غوستاف لوبون:

(لقد اعتنقت قبائل البدو فى جزيرة العرب دينا أتى به أمى — فأقامت بفضل هذا الدين فى أقل من خمسين سنة دولة عظيمة) (١)

وقال الكونت هنرى دى كاسترى (ثبت إذا مما تقدم أن محمداً لم يقرأ كتابا مقدسا ، ولم يسترشد فى دينه بمذهب متقدم عليه) (٢)

---

(١) الآراء والمعتقدات لغوستاف لوبون ص ٦

(٢) الاسلام خواطر وسوانح تأليف الكونت هنرى دى كاستري ص ١٦

اليهود فى بلاد العرب

كان فى يثرب يهود ، وفى خيبر يهود ، وفى اليمن يهود ، ولليهود دين سماوى وكتب مقدسة .

جاور اليهود أهل يثرب الوثنيين ولم يطمح أى الدينين فى تغلبه على الآخر ، أما مكة والطائف فلم يكن بهما غير الوثنية الخالصة قال اسرائيل ولفنسون «وليس ثمة من صلات بين اليهود وقريش لبعد الشقة بين مواطن الفريقين» (١) .

وترى أهل مكة بعد البعثة ، يرسلون سفراء الى يهود المدينة يسألونهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اسرائيل ولنفسون : « وتؤيد هذه القصة أنه لم يكن بمكة أحد من اليهود ، إذ لو وجد منهم بمكة ما أوفد بنوقريش وفدهم الى المدينة ليسألوا أحبار اليهود عن شأن النبي صلى الله عليه وسلم »(٢).

ولم يقم دعاة من اليهود قديما ولا حديثا يدعون الى دينهم ، كيف وهم يزعمون أنهم شعب الله وحدهم وأن ما عداهم من الشعوب نجس ، لا يجوز دخولهم الملكوت حتى أنهم وضعوا بأنفسهم العراقيل أمام كل من يريد أن يتهود هذا ومن الذى يستطيع غير شعب اسرائيل أن يحمل نير التوراة والتلمود .

قال اسرائيل ولفنسون :

«والذى يعلم تاريخ اليهود ، يشهد بأن الأمة الاسرائيلية لم تمل بوجه

---

(١) تاريخ اليهود فى بلاد العرب تأليف اسرائيل ولفنسون ص ٧٧

(٢) تاريخ اليهود فى بلاد العرب تأليف اسرائيل ولفنسون ص ٩٧

عام إلى إرغام الأمم على اعتناق دينهم . وإن نشر الدعوة الدينية من بعض الوجوه محظور على اليهود . . .

وهناك عامل آخر حال دون انتشار اليهودية فى الحجاز ، فاليهودية كما نفهمها هى خلاصة القانون التلمودى بعقائده وتقاليده وطقوسه . وهكذا صمم اليهود الذين انفردوا عدة قرون بحمل راية التوحيد — على أن يبعدوا عن اليهودية كل من أراد أن يعتنقها ، إلا إذا توافرت فيه جميع شروط التوراة والتلمود وخضع لكل نظمها ...

وهناك أمر آخر عاق انتشار اليهودية بين العرب ذلك أن التوراة والتلمود كلفا الانسان بتكاليف صعبة ، وربطاه بتقاليد كثيرة لم يألفها فلم يستطع العرب الذى لم يكن يعرف للنظم المعقدة قيمة أن يدركها بسهولة وعسر على نفسه أن تقبل التقيد بأغلال لا تحصى من القوانين الثابتة الثقيلة ، وهى المطبوعة على حب الاستقلال والحرية ... (١)

(أما لغة اليهود فى بلاد العرب ، فكانت بطبيعة الحال اللغة العربية ولكنها لم تكن عربية خالصة بل كانت مشوبة بالرطانة العبرية ، لأنهم لم يتركوا استعمال اللغة العبرية تركا تاما ، بل كانوا يستعملونها فى صلواتهم ودراساتهم ، فكان من الضرورى أن يدخل فى عربيتهم بعض الكلمات العبرية (٢)

وكان العرب يجهلون الديانة اليهودية ويقولون لليهود: لكم علم ليس لنا (٣)

---

(١) تاريخ اليهود فى بلاد العرب للاستاذ ولفنسون ص ٦٨ ، ص ٦٩

(٢) تاريخ اليهود فى بلاد العرب للاستاذ ولفنسون ص ٢٠

(٣) تاريخ اليهود فى بلاد العرب للاستاذ ولفنسون ص ٨٧

النصرانية ببلاد العرب

لم توجد النصرانية فى شبه الجزيرة العربية إلا ببلدة نجران الصغيرة التابعة لبلاد اليمن ، أما الحجاز فلم يوجد به غير اليهودية والوثنية كما عرفت ومن كان يدين بالنصرانية فى نجران هـذه — كان مضطهدا مستضعفا — وقد حفر لهم يهود اليمن أخاديد وأحرقوا فيها نفرا منهم .

فلم تستطع هـذه الشرذمة المتنصرة القليلة المحاطة بسياج من اليهودية والوثنية أن تبعث مبشرين وتنشر دينهـا فى الجزيرة . على أنهم لو قاموا كلهم وبشروا هم والعيسويون جميعاً ماقبلهم عربى قط . لأن النصرانيـة يومئذ قد صارت أكثر تعقيدا من اليهودية وأكثر آلهـة من الوثنية . وترى النصارى جميعا فى هذا الحين قد شغلوا بنفهم كنه اللاهوت والناسوت والفداء والخوارق وما قاله أسلافهم مما لا يسيغه عقل ولا يتسع له صدر عربى . قال المسيو دوزى فى كتابه تاريخ عرب اسبانيا :

«كان يوجد على عهد محمـد صلى الله عليه وسـلم فى بلاد العرب ، ثلاث ديانات ، الموسوية والعيسوية والوثنية — فكان اليهود من بين هذه الأديان أشد الناس تمسكا بدينهم .... أما النصرانية فلم يكن لها أتباع كثيرون ، وكان المتمذهبون بها لا يعرفونها إلا معرفة سطحية ، وكانت هذه الديانة تحتوى على كثير من الخوارق والأسرار ، بحيث يعز أن تسود على شعب حسى كثير الاستهزاء ... »(١) .

---

(١) راجع المدنية والاسلام ص ١٣٣

الوثنيـــة

سادت الوثنية فى الجزيرة العربية ، والوثنية دين قوى لا يقل عن اليهودية والنصرانية أليس لهم آلهة يعبدونها ، ويقربون لها القرابين حتى من بنى الانسان ؟ ألم تمثل تلك الآلهة الملائكة التى هى بنات الله فى زعمهم وهم إنما يقربونها إلى الله زلفى ؟ ألم يكن لهم كعبة يحجون اليها ويقدسونها ؟ وأشهر حرم لا يقاتلون فيها ويعظمونها ؟ ألم يكن لهم أساطير وحكايات يتداولونهـا عن أسلافهم كما يتداول اليهود والنصارى حكايات أحبارهم ورهبانهم ؟ ألم تكن لهم أخلاق فاضلة يفخرون بها ويكثرون فى شعرهم من ذكرها ؟ ألم يوقدوا النيران وينحروا الجزور ويضيفوا اللاجىء وينجدوا المستصرخ ؟.

كثيرون هم الذين يعتقدون خطأ بتجرد الوثنيين من الايمـان بالله ومن الأخلاق الفاضلة .

ظلت الوثنية واليهودية والنصرانية فى نزاع عنيف دون أن تتغلب واحدة على الأخرى .

والذى يشهد به التاريخ أن اليهودية كثيرا ما تأثرت بالآلهة المحسوسة وعبدتها كالأمم . ودين النصرانية ليس بينه وبين هذه الوثنية فارق إلا أن هذه تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) ، وتلك تقول المسيح ابن الله (تعالى)

قال اللورد ما كولى الانجليزى :

« ولطالما أذن فينا التاريخ ببيان ما أدخل اليهود قديما فى دينهم من البدع مستمسكين بما أملاه عليهم خيالهم الفاسد من ضرورة أن يكون لهم إله محسوس ملموس يقصدونه بالعبادة والاجلال . .

فجاء المسيح وأخذ يعلم الناس ويدعوهم إلى ماجاءبه من الدين فمنهم من آمن ومنهم من كفر .

ولم يسلم تابعو المسيح من النصارى أن يصيبهم فى إيمانهم مثل ماأصاب اليونان والفرس وغيرهم من قبلهم .

فتمثل الاله لهم فى صورة آدمى مشى بينهم — وشاركهم فى أغراضهم وما يعتريهم من الانحلال والاضمحلال — كما كان يبكى على القبور وينام فى الحظائر — ثم صلب حتى سال دمه على أعواد الصليب .

فظهروا بذلك للعالم فى لباس جديد من الوثنية — ثم كان لهم من القسيسين والرهبان بعد ذلك لفيف من الآلهة على مثال ما كان لليونان — فكان القديس جورج لديهم إله الحرب كما كان المريخ عند اليونان ، وكذلك اتخذوا العذراء وسيلسيا وغيرهما آلهة الجمال وفنون الأدب كما كانت الزهرة وسبع كواكب أخرى إلاهات لدى اليونان وهلم جرا

الظـــلام

« لأجل أن يفهم الانسان تمام الفهم ، أى دعوة من الدعوات يلزمه أولا الالمام بحال الداعى فى ذاته ، ولأجل أن يقدر قدر دعوته يجب عليه أن يدرس الجهة البشرية التى وجه همته للتأثير فيها . .

حوالى ميلاد محمد فى القرن السادس الميلادى ، كان جو العالم ملبدا بغيوم الاضطرابات والفتن . .

أما هذه (أوروبا) فوحشية حربية تلعب بالأرواح وتتمرغ فى الأوحال

أما (آسيا) فلم تكن أهدأ بالا من أوروبا فى شئ ..

كانت هذه الممالك كلها متمزقة الأحشاء بالحروب الداخلية والخارجية المتضاعفة بالمنازعات الدينية .

أما فى إفريقيا فكان هؤلاء اليونان الرومانيون دائبين على امتصاص دم مصر ، وعاملين على جعل مصر العلمية ذات المجد القديم ، كالجثة المصبرة عادمة الحس والحراك :

الخلاصة : كان جو العالم الأرضى متلبدا بسحب الاضطرابات الوحشية فى كل مكان ، وكان اعتماد الناس على وسائل الشر أكثر من اعتمادهم على وسائل الخير . وكان أجمع الرؤساء للثقة والطاعة أشدهم صيحة فى إصلاء نيران الحروب والمعارك ، ولم يكن العرب أحسن استعدادا من غيرهم لقبول أى دين من الأديان(١)

فى وسط هذه الظلمات الحالكة أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم « شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً »

أرسله الله الى كل القارات وجميع الأجناس البشرية لأنه لا امتياز لشعب على شعب ولا لقطر على قطر بل الكل أمة واحدة لهم مصالح واحدة ورب واحد « إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ٩٢ الأنبياء » .

« قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ، الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِ وَيُمِيتُ ، فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِىِّ الأُمِّىِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٨ الاعراف »

(١) المستشرق حول لابوم العربسى فى مقدمة فهرست وضعه لآيات القرآن بالفرنسية وراجع المدنية والاسلام للأستاذ وجدى ص ١٢٨

لولا هذا الداعي الذى أتى بهذا السفر الأبدى لظل العالم يتخبط فى دياجير الفتن والخزعبلات إلى أن يدق ناقوس فنائه الأخير . « لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البَيِّنَةُ ١ رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ٣ سورة البينة »

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم ... إلا على صنم قد هام فى صنم
والأرض مملوأة جورا مسخرة ... لكل طاغيـة فى الخلق محتكم
مسيطر الفرس يبغى فى رعيته ... وقيصر الروم من كبر ، أصم عمى
يعذبان عباد الله فى شبه ... ويذبحـان كما ضحيت بالغنم
والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم ... كالليث بالبهم، أو كالحوت بالبلم (١)
خططت للدين والدنيا علومهما ... ياقارىء اللوح بل يالامس القلم
أحطت بينهما بالسر وانكشفت ... لك الخزائن من علم ومن حكم
البدر دونك فى حسن وفى شرف ... والبحر دونك فى خير وفى كرم (٢)

وقال المسيو مسمر الفرنسى: « ومن حيث أن كلامنا موجه لمن يعرف التاريخ ، فلنقتصر على التنويه عن حالة العالم فى القرن السادس من الميلاد ونقول : إن التوحش كان متسلطا فيها ، وإن القليل من النبهاء الذين كانوا موجودين وقتئذ كانوا منهمكين فى المجادلات الدينية ، إذ نشأ من ابهام أحكام الدين المسيحى تفاسير لا تعقل، حتى أن جميع الآراء التى لا يجيزها العقل، والأفعال

---

(١) الليث الاسد . البهم جمع بهمة وهى ولد الضأن والمعز ، البلم صغار السمك
(٢) لشوقى فى منهج البردة

الخارجة عن الحد — كانت تقوى بما فى الانجيل ، وصارت البلاد النصرانية ميدان حرب تضطرب فيه الدماء ، بما أن أهل تلك البلاد.كانوا يتباحثون — وبأيديهم الأسلحة — فى كون الاله واحدا أو ثلاثة ، وفى كنهه وحقيقته ؛ بينما كان الفسق والفساد يوقعان الفشل بنظام الجمعية البشرية ، وبينما كان الجوثليون والهنس والفرس يتممون خراب ما أفسد الرومانيون — فلا شك حينئذ أن الدنيا كانت فى هذا الوقت أى وقت ظهور محمد صلى الله عليه وسلم محتاجة لمن ينقذها من الأهوال التى كانت فيها (١)

الرؤيا

كثيرون من الثقاة شاهدوا أحلاما فحدثت أو مثلت لهم فؤولت ، فى الأحلام مالا يصدق و يكون أضغاثا ، وفيها ما يصدق ويخبر عن أمور تقع فى المستقبل .

وقد شاهد كثير من علماء العصر الحاضر رؤى كثيرة وقعت .

والتاريخ مفعم بأحلام كثيرة تحقق وقوعها .

والرؤيا الصالحة جزء من الوحى وكتب بنى اسرائيل ملأى بوحى الأحلام كالانبياء : أشعياء وأرمياء ودانيال .

وأظن أنه لم يغب عن ذاكرتك حلم يوسف وصاحبيه والملك و إبراهيم شاهد فى الرؤيا من أمره بذبح ابنه (إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ) .

---

(١) كتاب دين الاسلام والعلم

(وأول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة ، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح (خ)

الوحى

يولد الانسان لايعلم شيئا . فأول مايوجدله حاسة اللمس وكلنا يشاهد مايبديه الطفل عند الوخز مثلا — وتأتى ثانية بعداللمس حاسة الابصار — والأطفال يكرهون الضوء فى أول أيامهم ، ثم يبدأون يميزون الضوء من الظلمة و بعد الابصار نأتى حاسة السمع —والاصوات المرتفعة تفزع الأطفال حتى فى يومهم الأول— ثم هم لايتمكنون من معرفةصوت أمهم إلا بعد أيام كثيرة — أما حاستى الذوق والشم فلا يصلان فى الأطفال إلى نهاية الكمال ثم يهبه الحكيم سبحانه وتعالى بعد الحواس . الادراك الحسى . وهو إحساس مشفوع بنوع من التفكير — فيقال يومئذ : «انه طفل مميز» وهذا التمييز طور آخر من أطوار وجوده ، فيدرك فيه أشياء أكثر وأدق من عالم المحسوسات

ثم يترقى إلى طور آخر . طور العقل الواعى . فيحكم على الاشياء ويعلل أسبابهــا — ويعرف الكليات وأمورا لاتوجد فى الاطوار التى قبله « وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. النحل ٧٨ »

ووراء العقل طور آخر تفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب وماسيكون فى المستقبل وأمور أخرى العقل معزول عنها ، كعزل قوة التمييز عن إدراك المعقولات ، وكعزل قوة الحس عن مدركات التمييز ، وكما أن المميز لو عرض

عليه مدركات العقل لأباها واستبعدها — فكذلك بعض العقلاء أبوا مدركات النبوة واستبعدوها وذلك عين الجهل .

وليس لهم حجة إلا أنهم لم يشاهدوا فـادامو الم يجدوها بأنفسهم يظنون أنهـا غير موجودة .

والأكمه لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الألوان والأشكال ، وحكى له ذلك ابتداء لم يفهمها ولم يقرها .

وقد قرب الله تعالى على خلقه ، بأن أعطاهم أنموذجا من خاصية النبوة وهو النوم إذ النائم يدرك ماسيكون من الغيب إما صريحا وإما فى كسوة مثال يكشف عنه التعبير — وهذا لو لم يجربه الانسان بنفسه وقيل له : إن من الناس من يسقط مغشيا عليه كالميت ويزول عنه إحساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب — لأنكره وأقام البرهان على استحالتـه وقال : « القوى الحساسة أسباب الادراك ، فمن لم يدرك الأشياء مع وجودها وحضورها ؛ فبان لايدرك مع ركودها أولى وأحق »

وهذا نوع قياس يكذبه الوجود والمشاهدة (١)

وقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة بجزء من أجزاء النبوة وهو تمثيل يوضح لنا شيئا عن النبوة قال : (الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)

فاذا انـكشف بالرؤية الصادقة الغيب عنـد النوم ، أفلا يجوز ذلك فى اليقظة ؟ وليس هنالك فارق بين النوم واليقظة إلا ركود الحواس ، وعدم

---

(١) راجع المضنون الـكبير للغزالى

اشتغالها بالمحسوسات — وكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر ولا يحس لاشتغاله بنفسه أو لتعمقه فى التفكير أو لتراكم الهموم عليه مثلا

إن مدهشات النوم المغناطيسى أصبحت اليوم من مقررات العلوم الرسمية ، ومذهب مناجاة الأرواح صار له من الأتباع مالا يقل عن الأربعين مليونا وكلهم من العلماء والحكماء ورجال الفضل ٠

النوم المغناطيسى عبارة عن نوم صناعى يحدثه إنسان على آخر بواسطة إشارات محدودة ووسائل مقررة فاذا نام الشخص يعلم ما يجول فى نفسك وما يخطر فى ذهنك ، وما يحويه جيبك من كتب وخطابات فيقرؤها ولم يرها

وقال عنها العلامة (بيو) فى كتابه المذكرات على المغناطيسى الحيوى :

« النوم المغناطيسى يثبت وجود الروح وخلودها ، ويبرهن على إمكان اختلاط أرواح متجردة عن المادة بأخرى لم تزل مكتسية بها [١]

فكما أن العقل طور من أطوار الآدمى يحصل فيه عين يبصر بها أنواعا من المعقولات ، الحواس معزولة عنها ، فالنبوة أيضا عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور، يظهر فى نورها الغيب وأمور لا يدركها العقل ٠

العـــزلة

منذ نعومة أظفاره أحب صلى الله عليه وسلم العزلة حتى كان يتجنب الأطفال وهم يلعبون ، وتصور يوم أن فقدته حليمة ووجدوه فى الجبل منفرداً وهو

---

(١) راجع دائرة معارف القرن العشرين مادة (آخرة)

لم يتجاوز الخامسة من عمره بعد . وكلما تقدم فى السن ازداد رغبة فى اعتزال الناس وتجنبهم ولم يكد يقرب من الأربعين حتى وجد فى نفسه ميلا يدفعه إلى العزلة

بغضت إليه الأوثان ، وبغض إليه الشعر والخمر واللهو وكل ضلالات قومه . وحببت إليه العزلة والاستقامة — ذلك البغض وهذا الحب لم يكونا عن تدين أو تلقين أو قراءة كتاب إنما صبهما الله فى قلبه وفطره عليهما وجبله هداية وعصمة يخص بهما سبحانه من يشاء (حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث[1] فيه «وهو التعبد» الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ، ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها) خ .

لم يكن يفكر فى شيء من عالم الغيب «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ٤ يوسف»

وما كان يطمح أن يكون مصلحاً للبشر أو يوجه همته لهدايتهم أو ينتظر وحيا من السماء «وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» .

وموسى لم يدر التوراة إلا حين نزلت عليه بعد الأربعين ، وعيسى كذلك لم يدر الانجيل إلا بعد أن نزل عليه فى الثلاثين من عمره .

وقد اعتزل موسى قومه فى الجبل أربعين يوما ليتلقى التوراة ، وخلا عيسى أيضاً فى البرية أربعين يوما صائما ثم نزل عليه الانجيل .

---

(١) المتحنث النافض عن نفسه الحنث (الذنب) مفردات الراغب الاصفهاني

وهكذا خلا محمد فى الجبل قبل أن ينزل عليه القرآن «سنة الله ولن تجد لسنةالله تبديلا»

ألف النسك والعبادة والخلـــوة طفلا وهكذا النجباء
وإذا حلت الهـــداية قلباً نشطت فى العبادة الأعضاء

ليلة القـــدر

الناس قد أحاط بهم شبح الموت المخيف ، غمرتهم الظلمة الحالكة ، تاهوا فى ضلالاتهم ، انهمكوا فى غوايتهم ، هم سائرون إلى الهاوية . !!!

أما النبي صلى الله عليه وسلم فنى الغار يجلس تحوطه القداسة ، وفى ليلة صفا نسيمها وتلألأت نجومها انفتحت السماء فجأة ونزلت الملائكة والروح وبرزت شمس الغيب من حجابها وهبت رياح الألطاف فوجهت مرآة قلب النبي الصافية إلى القدس الأعلى ، فشاهد مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر عل قلب بشر .

ما أعظم هذه الليلة لبنى الانسان ، إنهـا خير من ألف شهر بل من ألف سنة «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ »

هذه ليلة مباركة نزلت فيها كلمة الرب العامة الى بنى الانسان ، فظهر الحق ومكث واضمحل الباطل ونـكص «حم (١) وَالْكِتَابِ الْمبِينِ (٢) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفرَقُ كُلُّ

أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) سورة الدخان »

ياليلة القدر ماأفضل الشهر الذى جاء بك ، حقا إنك لعظيم يارمضان «شَهْرُ رَمَضَانَ الذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ » .

جاءه صلى الله عليه وسلم الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال: «اقرأ» قال: «ماأنا بقارىء» قال: «فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى» فقال: «اقرأ» فقلت «ماأنا بقارىء» فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال: «اقرأ» فقلت : «ماأنا بقارىء» فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال : «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ٣ الذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ سورة العلق »(١)

---

(١) انظر كيف تضمنت تلك الآيات أطوار الآدمى من خلق الجسم وامداد العقل والروح بالعلم والحكمة — وهذه الآيات القصار تريك أن الاسلام يرمى إلى تنمية الجسم ، وتثقيف العقل ، وتهذيب النفس .
أما تنمية الجسم فقد كان بدؤه من علقة . وهي دودة كما فى المختار ثم صار إنساناً فى أحسن تقويم خلقاً من بعد خلق .

أما تثقيف العقل فقد وهب سبحانه الانسان عقلا يستطاع به أن يخط معلوماته ويدونها فيقرأها انسان آخر فيعلم ما لم يكن يعلم ، وهكذا تترقى العلوم جيلا بعد جيل

أما تهذيب النفس فقد كتب الله بقلمه فى قلوب أنبيائه ما يرفع الانسانية على درجة الملائكة ، وعكس على مرآة نفوسهم القدسية من لوحه مالايصل اليه بنو الانسان بعقولهم وليس قلم الله ولوحه جسمين بل هما جوهران روحانيان عاليان ، ولا يبعد أن يكون قلم الله تعالي ولوحه لائقين بذاته وألوهيته وهو سبحانه مقدس عن الجسمية

إلى المـــنزل

رجع النبي صلى الله عليه وسلم بآيات الله التي كتبت فى قلبه بأحرف من نور (يرجف فؤاده) ، فدخل على خديجة رضى الله عنها فقال (زملونى[١] زملونى) فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة — وأخبرها الخبر (لقد خشيت على نفسى) — فقالت خديجة : (كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق[٢])

الأنوار الشديدة المتألقة ، والأشياء الغريبة فى بابها ، إذا هجمت فجأة انزعجت منها النفوس قسرا ، وانصرفت عن كل ما عداها ألا ترى موسى النبي يولى مدبرا ساعة أن رأى عصاه حية تسعى

وهكذا الأنوار الالهية اذا نزلت على قلب النبي صلى الله عليه وسلم أول مرة من غير انتظار وتأهب ورسول الله لم يكن لينتظر وحيا يلقى إليه أو ملكا ينزل عليه ، ولم يعرف الوحى والملك قبل ليلة القـدر

« ولم يكن جواره صلى الله عليه وسلم لطلب النبوة لأنها أجل من أن تنال

---

(١) غطوني — طلب صلى الله عليه وسلم أن يغطى لكيلا تشتغل حواسه بعالم المحسوسات ونفسه ساعتئذ منجذبة الى حظيرة القدس . ولم تكن هذه التغطية عن برد لانه كما قالت عائشة : (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد — وان جبينه ليتفصد عرقا) البخارى

(٢) ما أصدق هذا الوصف من هذه الزوجة المخلصة العاقلة، وما أجل مواساتها له . « الكل » المتعب والعالة على غيره . « المعدوم » المفقود أى أنت ذو مقدرة على الكسب غير كسول « والاعانة على نوائب الحق » كلمة جامعة تشمل المروءة والنجدة والمواساة

بالطلب أو الاكتساب ؛ وإنما هي موهبة من الله ، وخصوصية يخص بها من يشاء من عباده (والله أعلم حيث يجعل رسالته) .

ولم تكن الرجفة المذكورة ، خوفا من جبريل فانه صلى الله عليه وسلم أجل من ذلك ، وأثبت جنانا وإنما رجف غبطة بحاله وإقباله على الله عز وجل — نخشى أن يشتغل بغير الله عن الله وقيل خاف من ثقل أعباء النبوة (١)

ماخشى النبي على نفسه إلا ساعة أن غمسه ملك الله فى نورانيته ، وأحاطت به الأنوار القدسية . فى هذه الساعة كادت تغيب ذات النبي النورانية أمام نور الله تعالى

إلى ورقة

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد آمن بما أوحى إليه من آيات ربه واطمأن إلى ماوقر فى صدره من النور والحكمة ، وأما خديجة فآمنت أيضا ولكنها أرادت أن تعلم ابن عمها ورقة لتنظر ماذا يقول — فلتذهب إليه هى والنبي صلى الله عليه وسلم ليقص عليه ماشاهد كما قص عليها ، ويتلو عليه تلك الآيات النورانية كما قرأها عليها ﴿اقرأ باسم ربك ...﴾ تلك الآيات التى أثرت فى نفسها تأثيرا كشف الغطاء عن عينيها فأبصرت مالم تكن ترى .

(فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى

---

(١) المواهب اللدنية ص ٤١ ج ١

ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية . وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب ، وكان شيخا قد عمى .

فقالت له خديجة : « ياابن عم — اسمع من ابن أخيك » فقال له ورقة : « ياابن أخى ماذا ترى ؟ » فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر مارأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس [1] الذى أنزل على موسى ، ليتنى فيها جذعا [2] ، ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك ! »

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أومخرجى هم ؟ [3] » قال : «نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا » [4] ثم لم ينشب [5] ورقة أن توفى وفتر الوحى » [6] خ .

فورقة لم يتمالك نفسه حين سمع الآيات أن آمن ، وشهد تلك الشهادة التى سجلها له التاريخ فى سجل النزاهة والفطنة .

والحق أن من يسمع آية واحدة من كتاب الله ، ويتدبرها بفهم مزيلا عن نفسه رداء الكبر وغطاء التعصب تراه يذعن لها توا ويقر بأنها ليست من صنع الانسان كما يرى حيوانا فيعلم بالضرورة أنه ليس من صنع الانسان .

---

(١) صاحب السر — والمراد به روح القدس أو كتاب الله

(٢) شابا

(٣) يتعجب صلى الله عليه وسلم من قومه كيف ينفونه وقد جاءهم بالنور والحكمة والحياة — ولم يكن قد عرف صلى الله عليه وسلم شيئا عن اخوانه الانبياء الماضين وما أصابهم من اضطهاد وفتن

(٤) قويا

(٥) لم يلبث

(٦) انقطع مدة ثلاث سنوات كما ستعرف

آمن ورقة بالنبي صلى الله عليه وسلم من أول يوم ، وآمن يحي بعيسى في بدء نبوته أيضا ، ولكن يحي عمد المسيح وتلب على يديه قبيل النبوة ، أما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعلمه أحد قط إلا روح القدس .

فـــترة !!!

في الانسان قوى وغرائز ، ولكل قوة وغريزة لذة ، ولذتها في نيلها مايوافق طبعها الذى خلقت له .

والروح لذتها في الاتصال بعالمها ، عالم الملكوت التى نزلت منه و إليه ترجع هذا العالم الذى لا نهاية لكماله وحسنه وهو فوق الكمال والحسن إذ كل كمال وجمال صادر منه .

والروح مادامت في هذا الجسم الكثيف لن تشتاق اليه إلا بعد الموت، لأنها لم تعرفه ومن لم يعرف شيئا فكيف يشتاق إليه ؟

أما من اتصل به وشاهده ، ثم فترت عنه المشاهدة ، كان شوقه شديدا وحزنه عميقا

(وفتر الوحى فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم حزنا غدا منه مراراً كى يتردى من رءوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال : يامحمد «إنك رسول الله حقا» فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك ، فاذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك) خ

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم أن قابل جبريل وجها لوجه توجهت مرآة قلبه إلى نور الحق ، وانصرف إلى بارئه وتأهب لفتح أعين من

عمى من الخلق وكلهم عمى ، وآذان الصم وكلهم صم ، والقلوب المغلقة وكلها مغلقة انقطع عنه الوحى ثلاث سنوات متواليات كان فيها نبياً غير مرسل ، ولم ينزل عليه غير الآيات الأولى .

وموسى لم تنزل عليه التوراة إلا بعد أن خرج ببنى إسرائيل من مصر ولكنه كان فيها قبل الخروج منها يدعو فرعون و يصنع له العجائب .

أما النبي صلى الله عليه وسلم ففى خلال هذه السنوات الثلاث لم يدع أحدا ولم يعلم بنبوته غير ورقة الذى ماذهب الية تلك المرة إلا نزولا على رغبة زوجته

وظل النبي صلى الله عليه وسلم تلك السنوات الثلاث فى عزلته فتارة يقيم عند أهله وطورا فى الغار حتى أرسله الله إلى بنى الانسان جميعا .

الرسالة

(قال النبي صلى الله عليه وسلم : « بينما أنا ماش إذ سمعت صوتا (١) من السماء ، فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض ، فرعبت (٢) منه فرجعت فقلت : « زملونى » (٣) فأنزل الله

---

(١) قد شاع اليوم استعمال الراديو ، وهو تحويل الاصوات الى تيارات كهربائية واذاعتها فى الجو ثم تحويلها الى أصوات كما كانت فلو أن واحدا فى المريخ وآخر فى الكوكب الارضى لوصل كلام أحدهما الى الآخر بهذا الاختراع اذا تعارفا فى أقل من ثانية ولا تقل لعل هنالك ليس هواء فلا حاجة اليه بل الاصوات تنتقل كالضوء والحرارة بواسطة الاثير الذى لايحس — فاياك أن تتعجب من سماع النبي صلى الله عليه وسلم الصوت من السماء

(٢) أخذتنى هزة روحية وتحرك سرى

(٣) التدثر والتزمل كلاهما بمعنى التغطية ، وقد عرفت أن السبب فى هذه التغطية هو ان يكون صلى الله عليه وسلم غاضا بصره معرضا عن جميع المحسوسات وفى هذه الحالة

تعالى : «يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) ...» فحمى الوحى وتتابع)

ثم قام النبي يدعو الى اللـــه وفى الـكفر نجدة وإباء

أيما أشربت قلوبهم الـكفــــر ، فداء الضلال فيهم عياء

وخديجة إذ كانت أعرف الناس به صلى الله عليه وسلم ، صدقت بكتاب ربها وآمنت

وعلى بن أبى طالب ، الذى كان فى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يربيه رحمة بوالده الـكثير العيال — ذلك الفتى الذكى حيث كان من أعرف الناس بأخيه النبي صلى الله عليه وسلم أيضا صدق به وأسلم وجهه لله وهو لم يتجاوز الثالثة عشرة .

وأبو بكر بن أبى قحافة ذلك الرجل الذى خالط النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه منذ زمن طويل آمن بآيات ربه وصدق برسوله أيضا .

وكذلك لم يبق من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أحد الا وأسلم حتى زيد الذى كان يقال له فى هذا الحين زيد بن محمد ، أسلم هو وزوجته .

وقام أبو بكر يبشر خفية بدين الله ، فأسلم على يديه : عثمان بن عفان ، والزبير ابن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبو عبيدة الجراح .

وهؤلاء من سادات قريش ومن أعرف الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم

تبدو له حلسات من نور الحق لديذة — وقد نزل عليه الوحى وهو على هده الحال أيضا والقرآن صريح فى أن حبريل كان ينزل بالقرآن على قلب النبى (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين)٩٧ سورة البقرة (وانه لتنزيل رب العالمين ١٩٢ نزل به الروح الامين ١٩٣ على قلبك لتكون من المنذرين ١٩٤ بلسان عربى مبين ١٩٥) سورة الشعراء

قبل الرسالة وبعدها . ثم أسلم أناس آخرون : بلال ، وعمار بن ياسر ، وغيرهما ، وأسلم نساء كثيرات كأسماء بنت أبي بكر وأم الفضل زوج العباس وأم جميل بنت الخطاب وغيرهن .

قيام الليل

النبي — يبشر بالنهار بدين الله ، وينام الليل

القرآن — « يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ١ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ٢ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ٦» سورة المزمل

النبي — قام من الليل كما أمره ربه وزاد ، وأخذ يرتل ما ينزل عليه من القرآن

المسلمون — رأوه صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل ، فقاموا معه يرتلون كتاب ربهم كترتيله بخشوع وهم يبكون .

الحكمة — في الليل يهجع الناس ويخيم السكون والظلمة على المعمورة فتستريح الحواس ، وتنصرف النفس إلى عالم الملكوت والقدس الأعلى. ولذلك لجأ الصوفية إلى المغارات والكهوف ، هذا والنهار وقت معاش

العقائد والتقاليد

اختلطت الوثنية بقلوب العرب قرونا طويلة ، وتأصلت تقاليدها بنفوسهم حتى صار من المستحيل استئصالها — وعزيز على أمة أن تستبدل بعقائدها

عقائد أخرى . طبعوا على عادات وعبادات لا يستطيع العالم أجمع أن يحولهم عنها . وهل العادات والأخلاق تباع وتشترى ؟

ليس من السهل أن يقوم رجل أمى من العرب يريد أن ينقلهم من حياة إلى حياة ومن دين إلى دين طفرة واحدة ، اللهم إلا إذا كان هذا الرجل مرسلا من قبل الله القادر على تقليب القلوب ، وهداية من شاء « إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ »

قل لمن يدعى علما واسعا وفلسفة عميقة وفصاحة مؤثرة : قم وادع قومك إلى طريق أقوم مما هم عليه ، واستعن بما شئت من صحف وأعوان ، ثم انظر إلى أتباعك !

قل للنابغين فى أوربا ، اجتمعوا كلكم ، ولتساعدكم أممكم بالأموال وما تطلبون ثم اذهبوا إلى شعب قليل العدد وبدلوا عقائده الفاسدة بمعلوماتكم الغزيرة الصحيحة فهل تستطيعون ؟

إن زعمتم ذلك فأجمعوا أمركم وأعوانكم ، وأرونا مقدرتكم ، أفيدوا الانسانية المعذبة من هذا التثقيف وتلك الفلسفة !

(اجتهد المصلحون ، الذين يتعاقبون منذ قرن ، فى تغيير كل شىء فأرادوا تغيير المعبودات ، والأرض وسكانها — وهم إلى الآن لم ينالوا إلا يسيرا من طبائع الأمم التى ثبتها الزمان فيهم [1])

قال المسيو لابوم (وكانت طباع العرب وأخلاقهم لاتدل الناظر إليها إلا على أنهم شعب لم يكادوا يجوزون العقبة الأولى من عقبات الاجتماع لولم

---

(١) سر تطور الامم للدكتور جوستاف لوبون ص ٨

تكن الأسرة عندهم بل القبيلة أيضا تهتم اهتماما عظيما بحفظ سلسلة نسبها[1])

الأسرة

دعا النبي صلى الله عليه وسلم أقرباءه إلى وليمة ، فلبوا دعوته « وقد وصل إلى آذانهم همس عن نبوته » وأراد النبي أن يتكلم ففاجأه عمه أبو لهب قائلا (هؤلاء عمومتك ، وبنو عمومتك فتكلم بما تريد واترك الصبأة ، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب طاقة وأن أحق من أخذك وحبسك أسرتك ، فهو أيسر من أن تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب ، فما رأيت أحدا قط جاء بني أبيه وقومه بشر مما جئتهم به)

فلم ينبس النبي صلى الله عليه وسلم ببنت شفة وانصرفوا

ولكن ذلك لم يثن من عزم النبي بل دعاهم ثانية وخطبهم قائلا صلى الله عليه وسلم «إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت على الناس ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان إحسانا ، وبالسوء سوءا وإنها الجنة أبدا والنار أبدا ، والله يابنى عبد المطلب ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة»

فقاطعه أبو لهب قائلا : يابنى عبد المطلب هذه والله السوءة ، خذوا

---

(١) رأجع المدنية والاسلام ص ١٣٤

على يديه قبل أن يأخذ على يديه غيركم ، فان أسلمتموه حينئذ ذللتم ، وإن منعتموه قتلتم .

لعلك تدرك من هذا ما يهدد كيان الدعوة وترى أنياب الأسود بارزة لكي تفترس كل من يريد الخروج على دين آبائها !

قـــــريش

وفيما قريش آمنة فى بلدتها مطمئنة بدينها ، واثقة بشرفها إذ بالنبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم للاجتماع عند الجبل فذهبوا كلهم ومن لم يستطع أرسل نائبا عنه — ذهبوا وهم لا يدرون ما الخبر — وعندما احتشد الناس ارتقى النبي الجبل وفتح فاه قائلا « أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم تصدقوننى ؟ قالوا : بلى ما جربنا عليك كذبا ، فقال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد إن مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو منطلقا ، يريد أهله — فخشى أن يسبقوه إليهم ، فجعل يهتف « ياصباحاه ياصباحاه أتيتم أتيتم »

فقاطعه عمه أبو لهب أيضا قائلا : « تباً لك ألهذا دعوتنا »

انصرف الناس وهم يتحدثون فى شأن النبي صلى الله عليه وسلم فى أنديتهم ، فى بيوتهم ، فى أسواقهم ، وليس لهم حديث إلا هو .

المجنون

قريش — دهشوا من أمر النبي صلى الله عليه وسلم — عاش بينهم ثلاثة وأربعين عاما — لا ينظم شعرا ولا يلقى خطابة ولا يحضر اجتماعا — فماذا

اعتراه اليوم حتى يزعم أنه يخاطب من السماء لعله قد أصيب بالجنون !

القرآن — ١ — دعاهم إلى تحكيم العقل ، حتى لا يلقوا القول على عواهنه والعقل سلطان عادل يرضى بحكمه القرآن و يعلن فضله — أى جنون أصاب النبي ! ألأنه دعا الناس إلى هذا الدين ؟ أم لأن أخلاقه وأحواله تنبئ عن جنون ؟ أم ماذا ؟ « أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ ، إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ١٨٤ سورة الأعراف »

٢ — أهذا القرآن العظيم ينبئ عن جنون من يأتى به ؟ لا وحق القلم وحق العلم وما يسطر فى الكتب : « ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ٣ سورة ن »

٣ — المجنون يأتى من الأعمال ما يستقبحه العقل وتراه يلغط ويسب ويضرب وهو لا يشعر — وأمامكم هذا النبي ذو الخلق الكامل منذ نشأته . « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ٥ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ٦ سورة ن »

٤ — أتعدون ما وافق أهواءكم هو الحق فقط ، وكل ما خالفه هو الباطل بدون تحكيم العقل . ليس هذا من العدل فى شئ إذ لو اتبع الحق أهواء نفوسكم لاضطرب نظام العالم من أوله إلى آخره — فهل من يأتى بالحق الذى يخالف أهواءكم الضالة يكون مجنونا ؟ « أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ٦٩ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ٧٠ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ . بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ » ٧١ سورة المؤمنين

٥ — ليس هذا عادتهم وحدهم ، بل عادة كل الأمم منذ البدء ، ماأرسل الله فيهم نبيا مصلحا إلا رموه بالجنون ، أوصى بعضهم بعضا بهذ ؟ أم طغوا فى ميزان عقلهم فقذفوهم بالجنون من غير برهان ؟ « كَذَلِكَ مَاأَتَى الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلاَّ قَالوا سَاحِرٌ أوْ مَجْنُونٌ ٥٢ أتَوَاصَوْ بِهِ ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٥٣ سورة الذاريات »

كاهن

قريش — لعل الذى يأتيه رئى من الجن ، يأتيه تابع فيعلمه هذا القرآن ككهاننا الذين نشاورهم فى أمورنا ويخبروننا بما سيحدث (١)

القرآن — ١ — إن هذا القرآن العظيم لا تستطيع أن تنظمه الشياطين وليس فى مقدرتهم إيحاء شيء منه . إن هذا القرآن يدعو للحكمة والاستقامة والمروءة والتقوى. . . والشياطين لايدعون إلا الى الأثم ولا يوسوسون إلا بالشر — وهم لا يعلمون الغيب

«وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ . ٢١٠ وَمَا يَنْبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ٢١١ إنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ٢١٢» سورة الشعراء

---

(١) كان لابى بكر غـلام يخرج له الخراج — وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشيء — فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام : تدرى ماهـذا ؟ فقال أبو بكر : وما هو ؟ قال : كنت تكهنت لانسان فى الجاهلية ، وما أحسن الكهانة . الا أني خدعته فلقيني فأعطاني بذلك ، فهذا الذى أكلت منه . فدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء فى بطنه . البخارى

وأمثال هذا التدجيل من العرفاء والكهان كثير وكان للعرب فيهم اعتقاد طويل عريض

٢ — انما الشياطين توحى الكذب لمن أرخى لنفسه العنان فى القول ليخبر الناس بالمغيبات افتراء وتدليسا ليأكل أموالهم بالباطل — كثير من أخبار هؤلاء الكهنة كذب و باطل ، وقليلا ما يحدث من سجعهم المزوق مصادفة «هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ(١) أَثِيمٍ(٢) ٢٢٢ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ٢٢٣» سورة الشعراء

٣ — « قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ، إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١٨٨» سورة الاعراف

رجل من البدو — يحسب النبى صلى الله عليه وسلم كالكهنة فيقول له : «إن امرأتى حبلى فأخبرنى بما تلد ، و بلادنا مجدبة فأخبرنى متى ينزل الغيث وقد علمت متى وُلدتُ وأخبرنى متى أموت »(٣)

القرآن — « إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ٣٤» سورة لقمان

النبى — اشتكى فلم يقم ليلة أو ليلتين

امرأة — يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك(٤)

---

(١) كذاب — كالمنجم والكاهن (٢) كثير الذنوب

(٣) ابن جرير وابن أبي حاتم (٤) متفق عليه

امرأة ابى لهب — ماأرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك[1]

المشركون — قد ودع محمد[2]

القرآن —١— «والضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ١ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ٢ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ٣ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ٤» سورة الضحى

٢ — « وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٢٧» سورة التكوير

شاعر

قريش — ولما عرفوا أنه غير مجنون لأنه إنما يخاطبهم بالعقل ، ولا كاهن لأنه إنما يأمرهم بالخير ، قالوا شاعر كشعرائنا فلننتظر موته ليذهب دينه أدراج الرياح بذهابه ، وترجع العزة لآلهتنا كما كانت .

القرآن —١— رجع بهم إلى عقولهم ، أأنتم فكرتم فى هذا القرآن ثم حكمت عقولكم بهذا الحكم أم أنتم تطغون فى الميزان ؟! إن زعمتم أنه من نظم النبي صلى الله عليه وسلم وهو إنسان مثلكم فأتوا بقرآن مثله لتبطلوا حجته ولتنصروا آلهتكم — إن هذا الدين لن يزيد إلا ظهورا رغم كل العقبات التى تضعونها فى طريقه ، وإنه لن يموت أبدا وسترون كما يرى النبي أيضا .

« أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا

---

(١) الحاكم (٢) سعيد بن منصور

فإنّي مَعَكُمْ مِنَ المُتَرَبِّصِينَ ٣١ أمْ تَأمُرُهُمْ أحلاَمُهُمْ بِهَذَا أمْ هُمْ
قَوْمٌ طاغُونَ ؟ ٣٢ أمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لاَ يُؤْمِنُونَ ٣٣ فَلْيَأتُوا
بحَدِيثٍ مِثْلِهِ إنْ كانُوا صَادِقِينَ ٣٤ » سورة الطور

٢ — الشعراء يتبعون خيالهم ، يدخلون فى كل واد ، تراهم يمدحون ثم يذمون ، ويطلقون لأنفسهم العنان فيبالغون فى القول ويتكلفونه ، يمدحون أنفسهم بما لا يستحقونه ، وان دعَوا الى الحكمة لا يفعلونها والنبي صلى الله عليه وسلم لا يخالفكم الى ما ينهاكم عنه .

« وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ٢٢٤ ألَمْ تَرَ أنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ٢٢٥
وَأنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ ٢٢٦ » سورة الشعراء

٣ — فهل هذا القرآن العظيم نظم شاعر ؟ وهل هذا النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الشعر ؟ أبعد الثالثة والأربعين ينبغ ؟ ليس القرآن شعرا وحاشاه فهو أعلى وأعظم كما ترونه :

« وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ٦٩
لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ القَوْلُ عَلَى الكَافِرِينَ ٧٠ » سورة يس

سحر

الوليد بن المغيرة — جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم

النبي — قرأ عليه القرآن

الوليد — رق له

أبو جهل — بلغه تأثير القرآن فى الوليد — فأتاه فقال : ياعم إن قومك

يرون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه ، فانك أتيت محمدا . .

الوليد — لقد علمت قريش أنى من أكثرها مالا

أبو جهل — قل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له ، وأنك كاره له

الوليد — وماذا أقول ، ومافيكم رجل أعلم بالشعر منى ، ولا بأشعار الجن ، والله مايشبه الذى يقول شيئامن هذا . والله إن لقوله لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه لمنير أعلاه ، مشرق أسفله ، وانه ليعلو وما يعلى ، وانه ليحطم ماتحته

أبوجهل — لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه .

الوليد — دعنى حتى أفكر — فلما فكر قال : «هذا سحر يؤثر ، يأثره عن غيره»

القرآن — «ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً
١٢ وَبَنِينَ شُهُوداً ١٣ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً ١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ١٥ كَلاَّ إِنَّهُ
كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً ١٦ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ١٧ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ
كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢
ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ٢٤ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ
الْبَشَرِ ٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ٢٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ ٢٨
لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ٣٠» سورة المدثر :

تسعة عشر

أبو الأشد — إن محمدا يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر — فأنا

أكفيكم وحدى عشرة ، واكفونى أنتم تسعة .

أبو جهل — ثكلتكم أمهاتكم ، يخبركم ابن أبى كبشة أن خزنة جهنم تسعة عشر أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم

القرآن — « وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا، لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً ، وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَٰذَا مَثَلاً، كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ٣١ سورة المدثر»

على الهامش

ضلت الأمم لأنها لم تعرف نفوسها ، ولو عرفتها لعرفت ربها ولو عرفت ربها ما نكبت عن الصراط السوى .

ليس الانسان هو ذلك الجسم فحسب، بل هو ذات قدسية كذوات الملائكة بل هو روح إلهية ، بل هو سر ربانى وهذا الجسم آلات له يستخدمها .

إنى لا أعجب لشىء عجبي لمن ينكر ذاته ، يزعم أنه هو ذلك الجسم الترابى فهل يعقل التراب ويدرك ؟ .

صنعنا آلات كثيرة كهربائية وبخارية متحركة وثابتة فلم نجد ولو واحدة منها فكرت أو أرادت أو التذت أو تألمت

والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

إنّ الذين ينكرون نفوسهم قد حصروا الوجود كله فى الحواس ، حتى أن أحدهم لو خلق أعمى لأنكر وجود الألوان ، أو أصم لأنكر وجود الأصوات.

يريد كثير منهم أن يعرفوا الروح بلونها ، بطعمها ، بحجمها ، بثقلها ، تركيبها ، بمكانها — وكيف يرى مالا لون له ، أو يذاق مالا طعم له أو يقاس مالا حجم له ، أو يوزن مالا ثقل له ، أو يحلل مالا تركيب له ؟

أولئك الذين لا يعلمون أن فى هذا الكون العظيم عوالم ليس لها حجم وغير مركبة ولا محسوسة .

ألم يسمعوا عن الأثير الذى يملأ العالم بما فيه من الأجرام السماوية ، ويخترق أسمك الجدران - ينقل الينا أشعة الشمس وحرارتها - ولم يستطع العلماء جميعا أن يصفوا لنا هذا الأثير : مالونه ؟ لا لون له ، ماطعمه ؟ لا طعم له ، ماتركيبه ؟ لا تركيب له ، ماوزنه ؟ لا وزن له ، ماحيزه ؟ لا حيز له .

كل مافى وسع العلماء أن يشرحوا لنا شيئا عن خواص الأثير والمغناطيس والكهرباء وأثرها - أما كنهها فلا - وهذه غاية المعرفة بلا شك عند العقلاء .

النفس هى المفكرة ، المريدة ، المتلذذة ، المتألمة .

أما المخ فهو مواطن لهذا التفكير وتلك الارادة . . .

من الناس من يظن أن عينه هى التى تبصر الألوان والأشكال وكذلك باقى حواسه إنما هى تحس بذاتها - والمتعلم يقول لهم : إن المخ هو الذى يبصر ويحس وإنما العين والحواس آلاته التى يستخدمها .

وهنالك طائفة ممن رقوا عن المحسوسات يعلمون أن المخ والحواس آلات للنفس ، كالقلم واليد للكاتب .

لو قطعت يد الكاتب ما كتب شيئا - والنفس لو فقدت موطناً فى المخ

من مراكز الفكر أو الذكر أو الادراك مافكرت ولا تذكرت ، ولا أدركت ولو أن للكاتب يدا ولكن لا قلم معه ما استطاع أن يخط شيئا أيضا — كما لو فقد إنسان عينيه مثلا فانه لا يستطيع النظر مع أن المخ سليم والنفس موجودة

النفس

العرب — الانسان هو تلك الصورة اللحمية العظمية الدموية وما فى داخلها من الأعضاء والأجهزة فقط

القرآن — «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ٧٢» سورة ص

المسلم — إن آدم أبا البشر كان يتركب من جسم وروح — وربنا أمر الملائكة بالسجود له عندما نفخ فيه من روحه — اذاً آدم فضل بهذه الروح على الملائكة

القرآن — «الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ٩ سورة السجدة»

المسلم — وكل إنسان له أيضا روح فهو كأبيه آدم

القرآن — «أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ ، مَا خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ٨» سورة الروم

المسلم — يجب أن أفكر فى نفسى وفى العالم وفى لقاء الله

القرآن — «وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٢١» سورة الذاريات

المسلم — فى الأرض آيات ، وفى نفسى آيات — ماهذه الآيات — لابد أن أعرف نفسى . .

القرآن — «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ١٦ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ١٧ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨» سورة ق

المسلم — الله يعلم مايجول فى نفسى من الخواطر وهو أقرب إلى من كل شىء وقد وكل بى ملكين يكتبان ماألفظ . فلأترك خواطر السوء ولا أنطق إلا بمايرضى ربى .

على الهامش

تعاليم الرب التى أوحاها إلى عباده الأنبياء ، روح خيرية تدفعك الى البر وتردعك عن الاثم « ينزل الملائكة بالروح من أمره ، على من يشاء من عباده ...» فالقرآن روح فيها حياة الأمم ونورهم وشفاؤهم «ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم ، وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين»

وهنالك أرواح شريرة تعمل على إغوائك وإغرائك لتخالف الروح المقدسة القرآنية

ألست تشعر بما يجول في نفسك ، وتجد أن فيك خواطر تدعوك إلى الخير وأخرى تجذبك إلى الشر — من أين أتت هذه الخواطر السيئة والأفكار الرديئة ؟ أأتت من نفسك وأنت تحمل هـذا القلب الطيب الذى يدين بالخـير ؟ إذا كانت نفسك هى التى أوحت اليك أنك تقترف الاثم فلماذا تندم بعد الخطيئة ؟ وماهذا الوخز الذى تشعر به فى صدرك ؟ هذه الخواطر الرديئة تخبرك عنها الديانات بأنها آتية من أرواح شريرة تسمى الشياطين

هذه الأرواح الشريرة أنت لاتستطيع أن تدرك كنهها كما لاتدرك روحك والأثير والمغناطيس والكهرباء ، فالشياطين أنت لاتراها «إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم»

أنت لاتراها ولكنك تدرك أثرها وما دمت قد أدركت الأثر فلا يجوز لك أن تنكرها

ألم يجمع الأطباء على أن الأمراض ناشئة من جراثيم صغيرة لاتدرك بالعين المجردة وهى جيوش متعددة محيطة بنا ونحن لانشعر بها — وكل مرض يخبرنا الأطباء أنه من مكروب خاص — والجهلة يظنون أن المرض إنما نشأ فى الجسم من غير مكروب لانهم لم يقروا به حيث لم يروه ، والأطباء والمتعلمون يقولون لهم : «إن لم تروا فنحن نرى ، فنحذركم الجراثيم الفتاكة وإن لم تسمعوا أنذرناكم مرضاً قريباً ينخر في أجسامكم» كذلك أطباء النفوس : أنبياء الله وأولياؤه أجمعوا على أن هنالك أرواحا شريرة تبذر فى النفوس بذور الامراض ، والنفس تمرض كما يمرض الجسم بل أشد

انه لولا الحر والبرد ماانخذ بنو آدم مساكن وقصورا ولا وصلوا الى هذا الحد من الرقى ، ولولا الجوع والعطش ماتفنن الناس فى المكاسب ولا بلغوا تلك المدنية

ولولا الجراثيم والذباب والبعوض والحشرات الناقلة للأمراض ما اعتنى الناس بالنظافة والوقاية ، فانظر الى الحر والبرد والجوع والعطش والجراثيم والحشرات المضرة التى هى فى نفسها ألم وضرر — كيف تصل بالانسان الى هذه الدرجة من النهوض .

لهذا خلق الله الشيطان يوسوس أفكارا رديئة — ليجتنبها العاقل الحكيم ويحل محلها أفكارا سامية يرتقى بهـا الى درجة تجعله أعلم من ملائكة الله وتمنحه درجة الخلافة

أما الذى يسمح لوساوس الشيطان الرديئة بالبقاء فانه يهبط الى دركات هى أخس من مرتبة الحيوانية

إبليس

القرآن — وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ٢٩ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ٣٠ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ٣١ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ٣٢ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ٣٣ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ٣٥ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ

---

٢٨ (صلصال) طين يابس يصلصل أى يصوت (حمأ) طين تغير واسود (مسنون) مصور أو مصبوب ٣٤ (رجيم) مطرود — ٣٦ (أنظرني) أمهلني : أي لا تعذبني في الهاوية

مِنَ الْمُنْظَرِينَ ٣٧ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ٣٨ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ٤٠ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ٤٢ سورة الحجر

المسلم — ابليس لم يسجد لأبينا آدم ، لأنه نظر بعين عوراء الى الجسم الطيني ، ولم ينظر الى الروح التى نفخت — وربنا سبحانه أقام عليه قانون عدله فاخرجه من حظيرة القدس ، وطرده من حضرته

وابليس تضرع الى ربه تعالى بألا يكبكبه فى الهاوية حتى تنتهى الدنيا . وربنا سبحانه أجاب طلبته .

إبليس أوجب على نفسه غواية من يطيعه من بنى الانسان ، والرب سبحانه صرح له بذلك ، ولكن لم يجعل له سبيلا على الذين لا يطيعونه فيما يوسوس به فى صدورهم ، ويخلصون العبادة لبارئهم تعالى

القرآن — وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ١١٦ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ١١٩ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ١٢٠ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا

بعصيانى حتى يأتي يوم البعث — ٣٩ (بما أغويتني) بسبب خلقك لى غاوياً — والله هو الذي خلقه غاوياً ليختبر من استعمل عقله ومن أهمله كما خلق للجوع والعطش والحر والبرد والمرض والألم ليتقيها من يتقيها ، ويكسل من يكسل فيشقى

وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عليهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ، وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ١٢١ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ١٢٢ سورة طه

المسلم — ربنا حذر أبانا آدم من الشيطان عدوه ، وبين له شقاءه ان أطاعه بخروجه من الجنة التى ليس فيها جوع ولا عطش ولا عرى ولا تعب . ولكن الشيطان وسوس اليهما ووعدهما أملا كاذباً : ملكا وهمياً وخلداً خيالياً ، فدلاهما بغرور فأطاعاه وعصيا ربهما ، فظهرت لهما عوراتهما وأخذا يغطيان أنفسهما بورق الجنة . وأخيرا تاب الله عليهما

حقا ان من يطيع الشيطان يخزى ويندم .

الله رب رحيم يقبل توبة العاصى .

القرآن — يَا بنِي آدمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ ، إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ٢٧» سورة الاعراف

المسلم — وربنا له العزة ، يحذرنا أيضا — نحن معشر بنى آدم — من هذا الشيطان الغاوى ويذكرنا بما كاده لأبوينا ، ويبين لنا سبحانه أن هذا الموسوس الشرير يرانا ولا نراه ، ويعلمنا تعالى بانه قرين النفس الكافرة فلنحذر الشيطان

لمــاذا ؟

القرآن — وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢٠ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ٢١ سورة سبأ

المسلم — ابليس أضل كثيرا من الناس ، وحقق ظنه فيهم حيث خدموا الجسم ونسوا الروح

وربنا سبحانه وتعالى لم يوجده الا ليظهر به النفس المطمئنة المؤمنة بعالم الغيب ، من النفس التي ارتابت ولم تسمع قول الرسل ، أو التي لم تعقل وتبحث لتهتدي

القرآن — وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ : إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ، وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ، مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٢ سورة ابراهيم

المسلم — آه : هاهو ذا الشيطان اليوم : يوم الحسرة اذ قضى الأمر يتبرأ ممن استخفه وغره فاتبع خطواته ، هاهوذا يجعل اللوم على من دعاه الى الاثم خلبي دعوته — حقا ان اللوم على من أعطى العقل ومنح القوة ثم هو يعمل بوسوسة تختلج في صدره غير مكترث بما يشير به العقل .

كلاهما فى العذاب فليس إبليس بمغيث لأتباعه من الأئمة ، وليسوا هم بمغيثيه أيضا .

هاهو ذااليوم يعلن براءته — على رءوس الأشهاد — من الذين أشركوه من قبل فى أعمالهم وعبادتهم وعقائدهم حيث أخذوا برأيه وما مناهم به من الكذب

شياطين الانس

القرآن — وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ١١٢ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ١١٣ سورة الأنعام

المسلم — الذى يوسوس الشر من الانس : شيطان إنسى ، كما أن الذى يوسوسه من الجن شيطان جنى — هذا مستتر لانراه وذلك بارز ظاهر وكلاهما يأمر بما يخالف شريعة الرب مزخرفا القول ومزينه ، مفتريا الكذب على الله والناس ومروجه .

ولو أراد ربك لحال بينهم وبين هـذا التضليل ، ولكنه سبحانه تركهم لتمييز الخبيث من الطيب والصالح من الطالح .

أما المؤمن بعالم الغيب والآخرة ، الممتلىء إيمانا وحكمة ، لايحفل بتزويق هؤلاء الشياطين ولا تدليسهم ، ويتركهم وكذبهم اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم القائل له ربه : «فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ»

أما الجهلة الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، فتميل قلوبهم إلى

مايوحي إليهم هؤلاء الشياطين ، وتطمئن إلى تضليلهم وترويقهم ، وتقترف من الاثم ماتقترف

القرآن — وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِى اتخذتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ٢٧ يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِى لَمْ أَتخِذْ فُلَانًا خَلِيلا ٢٨ لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ٢٩ وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا . سورة الفرقان

المسلم — من أطاع الشرير يعض بنان ندمه ، ويتمنى أن يكون قد سلك طريق الرسول : طريق الحياة والسعادة والنور والهدى .

والرسول صلى الله عليه وسلم يرفع مظلمته أمام العدل الالهى ليقتص من أولئك الذين أغمضوا عيونكم فلم يروا نور القرآن وهجروه .

شياطين قريش

أبو جهل — اذا سمع برجل اسلم — فان كان شريفا لامه : تركت دين آبائك وهم خير منك ، لنسفهن حلمك ، ولنضعن شرفك . وان كان تاجرا لامه وهدده قائلا : لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك . وان كان ضعيفا خوفه قائلا : لنحبسنك ولنحرقنك . . .

النضر بن الحارث : اشترى قينة وكان لايسمع باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته قائلا لها : أطعميه واسقيه وغنيه ، ثم يلتفت اليه قائلا : هذا خير مما يدعوك اليه محمد

الوليد بن المغيرة : لو كان مايقول محمد حقا لنزل على هذا القرآن ، أو على ابن مسعود الثقفى .

العاصى بن وائل : جاءه خباب يتقاضاه حقا له عنده فقال له لاأعطيك حتى تكفر بمحمد . قال : «لاحتى تموت ثم تبعث» فقال «فانى لميت ثم مبعوث ؟» قال : نعم . فقال له : «ان لى هنالك مالا و ولدا فاقضيك»

أمية بن خلف : يعذب من يؤمن وهو يقول له : لاتزال هكذا حتى تكفر بمحمد أو تموت .

قريش — قيضوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلا يأخذه ، فقيضوا لأبى بكر طلحة ، فأتاه فقال له أبو بكر « إلام تدعونى ؟ » قال «أدعوك إلى عبادة اللات والعزى» قال : «وما اللات والعزى ؟» قال : «بنات الله» فقال له : «فمن أمهن ؟» . فالتفت طلحة إلى أصحابه وقال لهم : «أجيبوا الرجل» فسكت القوم ، فقال « قم ياأبا بكر : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله »

العقل

القرآن — وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ١٧٩ سورة الأعراف .

المسلم — إن جهنم لا يسكنها إلا الأغبياء الذين منحهم الله عقولا ليفهموا بها ولكنهم أهملوها ، وأعطاهم أعينا لينظروا بهـا فى ملكوت السموات والأرض ، ولكنهم وضعوا عليها غشاء الأهواء والغفلة فلم يبصروا ، ووهبهم سبحانه آذانا ليسمعوا بها صوت الكون ومناداته بعزة الرب ووحدانيته ، وصوت التاريخ وعبره ، وصوت المصلحين وحكمهم ، ولكنهم وضعوا فيها أحاديث اللغو والخرافات حتى انسدت فلم تسمع .

أولئك قوم لا هم لهم إلا أن يملأوا بطونهم ، ويسترسلوا فى شهواتهم ، وينغمسوا فى لهوهم ، مثلهم كمثل الأنعام بل هم أضل طرقا منهـا ، لأن الله جعل لهـا طريقا واحدا يوم خلقها .

أولئك قوم أهملوا الفكر والنظر ، أولئك هم الغافلون .

فلأفكر ولأنظر ولأسمع حتى لا أحشر مع هؤلاء الذين هم أحط درجة من بهيمة الأنعام ويوم القيامة يقولون «لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ١٠ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ١١ سورة الملك » .

القرآن — أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ٤٦ سورة الحج .

المسلم — يجب أن أسير فى الأرض باحثا مفكرا .

لا أنظر إلى الأشياء نظراً مجردا ، أو أسمع لسان الكون وآيات الله وأنا شاغل فهذا يشاركنى فيه الحيوان الأعجم ، إن عمى العين ليس هو العمى بل كم

من كفيف البصر يرى بنور عقله مالا يراه المبصرون . إنما العمى عمى القلب حيث لا يبحث ولا يهتدى .

ليس الصمم صمم الأذن فكم من أناس لهم آذان يسمعون بها لكنها لاتعى الحكمة ولا تصل إلى قرارة نفوسهم ، هم صم لأن نفوسهم قد صمت عن قبول الحق .

سأفتح عينى وأذنى وأفكر فى كل شئ

على الهامش

يشب الانسان فى بيئته ، فيقلد قومه فيما يأتونه من الأعمال والعبادات والمعتقدات من غير تفكير فيها . وبتكرار هذا التقليد يصير له عادة من الصعب انتزاعها ولو أن عقله يرى فساد ماساء من تلك التقاليد ماتركها لسهولتها عليه ولتمشيه مع المجتمع . ولا يزال يكرر تقاليدهم ويخضع عقله لها موهما بضرورة موافقة قومه حتى يميل بطبعه إليها ولا يفكر بعد فيها . وحينئذ تالفها نفسه وتسمى هوى . ومن قهرته شهواته واسترسل مع الدنئ من اللذات والقبيح من الأفكار الرديئة . وهو عاجز عن ضبط نفسه وعواطفه وكبح لسانه فى الغضب . تراه على تنمية الشهوات والضغائن أحرص منه على اماتتها ونسيانها غير حاسب حسابا ولا متدبر عاقبة . وهذا نوع من الهوى .

لو أراد شياطين اخوانك أن تشاركهم فى فعل تنكره عليهم ألحوا عليك فى بادئ الأمر وأنت تمتنع . ثم لايزالون بك حتى تسقط كما سقطوا ان أطعتهم ، فاذا ماسقطت مرة واحدة اعتدت على هذا السقوط وألفته واستسهلته

فى حاجة الى شياطين يقودونك بل صرت مدفوعا بحكم العادة اليه قسراً عنك
وهذا نوع كبير من الهوى .

كذلك وساوس الشهوات التى تحيك فى صدرك ان لم تقطع جذورها وتستأصل شأفتها أوقعتك فى الاثم وصارت لك عادة وطبعا . وهذا نوع من الهوى أيضا .

والهوى سلطان قهار يعطل القوة الفكرية و يملك عليك الارادة .

إن العادات المذمومة أقوى أنواع العادات لأن لها ناصرا من الشهوات التى لا تفتا تصيح طالبة مايطفىء غلتها . فالرجل الذى يسقط فريسة أى عادة سيئة تراه مغلوبا على أمره . لا يعرف خطر أى فعل من أفعاله إلا بعد قطع مرحلة طويلة فيه .

الهـــوى

القرآن — وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا
خَلْقَهُمْ ؟ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ١٩ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ
مَاعَبَدْنَاهُمْ مَالَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ٢٠ أَمْ آتَيْنَاهُمْ
كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ٢١ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى
أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ٢٢ وَكَذَٰلِكَ مَاأَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ
مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ
مُقْتَدُونَ ٢٣ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ
قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ٢٤ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ٢٥ سورة الزخرف

المسلم ـ ضل آبائى وقومى لأنهم حكموا على الملائكة بأنهم بنات الله تعالى بدون مشاهدة أو كتاب سماوى . لاحجة لقريش اليوم إلا أنها مستمسكة بما كان عليه آباؤها ، وهكذا عادة كل الأمم فى تقليد سلفها حتى ولو كانوا فى الظلمة — وجاءهم أنبياؤهم بالنور — عزيز عليهم تسجيل ضلال آبائهم باتباعهم النور الجديد — فليموتوا فى الظلمة نقمة من الله جنوها على أنفسهم

القرآن ـ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ٢٠ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ؟ ٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى !!! ٢٢ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ٢٣ سورة النجم

المسلم ـ قومى يتبعون أهواءهم ولا يحكمون عقولهم والقرآن يطالبهم بالدليل فلا يجيبون — ساروا مع الوهم واتبعوا الظن فضلوا

القرآن ـ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ٤٣ الفرقان

المسلم — كل من أضاع عقله ورضخ لهواه فهو عبده ، ومن كان عبد هواه سار — مغمضا عينيه — إلى الهاوية وما يشعر ، لأنه كما يأمره هواه يفعل .

والهوى أضل إله عبد فى الأرض من دون الله ، وعابد الصنم إنما يعبد هواه على الحقيقة لأنه ألف عبادته وتعودها فهو يعبد عادته وإلفه .

الجهاد الأكبر

القرآن — قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١ مَلِكِ النَّاسِ ٢ إلهِ النَّاسِ ٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ٤ الذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٥ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ ٦ سورة الناس

المسلم — يجب أن الجأ إلى الرب الملك الاله - فارا من الوساوس التي تحيك فى الصدر من ايحاء شياطين الانس والجن

القرآن — إنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ٢٠١ سورة الاعراف

المسلم — ان التقى يراقب نفسه ويستأصل أى خاطر سوء عندما يشعر به توا ، إن الشيطان يضع بذور الاثم فاذا لم تجتث لوقتها ثبت أصلها وامتدت فروعها

القرآن — وَأمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَان الجنةَ هِيَ المَأوَى ٤١ النازعات

المسلم — علىّ أن أحاسب نفسى التى تأمرنى بالسوء وأردعها ، متخذا من ضميرى وسريرتى رقيبا عليها - يجب أن أثبت لها الخصومة وأناصبها العداء وأحاكمها الى العقل لأمحو تلك العادات الممقوتة التى ورثتها عن قومى

القرآن — مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ ٤٦ سورة فصلت

المسلم — ربنا إله عادل رحيم لا يظلم أحدا بل من لوث نفسه بالاثم، فعلى نفسه جنى ، ومن أحسن فلنفسه أحسن .

القرآن — قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ١٠ سورة الشمس

المسلم — يجب أن أطهر نفسى من أدران الرذيلة والاثم ، وأحليها بالفضيلة والتقوى حتى أفوز بالسعادة

الخائب حقا من دنس نفسه بالمعصية .

القرآن — وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ٥٣ سورة الاسراء

المسلم — من الواجب على أن أقول لجميع الناس قولا لينا حسنا ، لأن الشيطان من بنى الانسان والجن ، يدخل بيننا فيفسد أمرنا ويهيج الشر أنا لا أنسى نزغه بين يوسف واخوته وإيحائه اليهم بالكيد له . فلأقل خيرا

النبي : (١) ألا وإن فى الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب خ

(٢) إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم واعمالكم خ

(٣) البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس م

(٤) التقوى ههنا — ويشير إلى صدره — ثلاث مرات خ

بقاء النفوس بعد الموت

القرآن — فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ٨٤
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ٨٥ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ
مَدِينِينَ ٨٦ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ٨٧ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ
الْمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ٨٩ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ
أَصْحَابِ الْيَمِينِ ٩٠ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ٩١ وَأَمَّا إِن كَانَ
مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤
إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ٩٥ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٩٦ سورة الواقعة

المسلم — هاهى الروح تخرج من المحتضر والناس ملتفة حوله وربنا أقرب شيء اليه

عقب خروج الروح تذهب توا إما مع المقربين إن كانت سابقة بالخيرات وإما مع أصحاب اليمين إن كانت مقتصدة فى الأعمال و إما فى جهنم إن كانت شريرة

القرآن — حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ٢٦ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ
الْفِرَاقُ ٢٨ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ٣٠
فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ٣١ سورة القيامة

المسلم — الروح بلغت أعالى الصدر وأهل المحتضر بحثوا عن من يرقيه ليشفيه وغلب الظن أن هذا المرض مرض الموت ، وأسلمت الروح إلى بارئها وسيقت اليه فلم يجد لها صلاة ولا علما

القرآن — فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ، أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ، حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ؟ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ٣٧ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ ، قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ٣٨ سورة الأعراف

المسلم — سيدخل الكاذبون على ربهم والمكذبون لرسله — نار جهنم من يوم وفاتهم ، وهنالك تقع المناقشات الحادة بين المقلدين والآباء

القرآن — وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ٩٣ سورة الأنعام

المسلم — من يوم الموت مباشرة يوقع عذاب الخزى والذلة على الظلمة

القرآن — الذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

المسلم — النفس المؤمنة الطيبة تدخل الجنة من يوم الوفاة

على الهامش

الموت من الحياة الآخرى ، وليس له معنى إلا أنه طور من أطوار الحياة الانسان كان علقة ثم تطور فصار مضغة . . . ثم تطور فصار فى حياة لا نشاهدها نحن — تلك الحياة أطلقنا عليها اسم الموت ، والموت فى الحقيقة أعظم من هذه الحياة الدنيا — كما أن الجنين — وهو فى الرحم — لو عقل لظن أن فيه حياته فقط ، وفى يوم ولادته ونزوله إلى هذه الأرض الواسعة يشعر بحياة أرقى ، ولذة لم يكن قد تصورها

الغزالى :— إذا فارقت النفس البدن حملت القوة الوهمية معها وتتجرد عن البدن — منزهة ليس يصحبها شىء من الهيئات البدنية — وهى عند الموت عالمة بمفارقتها عن البدن وعن دار الدنيا — متوهمة نفسها الانسان المقبور الذى مات ، وعلى صورته كما كان فى الدنيا يتخيل ويتوهم — وتتخيل بدنها مقبورا — وتتخيل الآلام الواصلة إليها على سبيل العقوبات الحسية على ما وردت به الشرائع الصادقة — فهذا عذاب القبر .

وإن كانت سعيدة تتخيل على صورة ملائمة على وفق ما كانت تعتقده من الجنات والأنهار والحدائق والغلمان والولدان والحور العين والكاس المعين فهذا ثواب القبر .

ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم : «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران» — فالقبر الحقيقى هذه الهيئات وعذاب القبر وثوابه ما ذكرناهما .

والنشأة الأخرى خروج النفس من غبار هذه الهيئات كما يخرج الجنين

من القرار المكين ، قال تعالى : «قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم» وقوله تعالى : «الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ» مثال بين لهذه النشأة (١)

فنـــاء

العرب والماديون : — هذا العالم لا يفنى أبداً

الاسلام — هذا العالم له أجل محدود سيفنى عند انقضائه ، مثله فى ذلك مثل سائر أجزائه — ألست ترى النبات ينمو ويترعرع زمنا ، ثم يتفتت ويصير أجزاء تتناثر فى الهواء : إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤ سورة يونس

فاذا دقت ساعة فناء هذه الدنيا تزلزلت الارض وسيرت الجبال وانكدرت النجوم وانشقت السماء . . .

قريش — فى أى زمان تحدث هذه الساعة

القرآن — يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا

---

(١) المضنون الكبير للغزالى

عِندَ رَبِّى ٧٧ سورة الاعراف

على الهامش — هذهالساعة لم يخبر بها نبي قط ـ لأن الناس لو عرفت وقتها لاضطرب أمرهم ـ فان كانت بعيدة يئسوا وان كانت قريبة فزعوا وانكمشوا وتركوا العالم يخرب

الأخرى

كما أن الموت طور من أطوار الآدمى ، يرى فيه حياة أرقى من تلك الحياة الدنيا فهنالك طور آخر ليس بعده طور، فيه ينشأ الانسان نشأة أخرى لا يعلم حقيقتها إلا الله القائل : «وَنُنْشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢ سورة الواقعة»

هذه النشأة الأخرى تصلح للارض الجديدة والسماء الجديدة يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات [1]

هذا هو يوم البعث وقيامة الأموات وإنك لتراه فى القرآن مفصلا فى سور متعددة فراجعها إن شئت .

قال كارو فى كتابه الأبحاث الأخلاقية : «قواعد الديانة الطبيعية (دين

---

(١) قد توصل الاستاذ جستاف لوبون فى كتابه المسمى بتطور المادة إلى أن كل شيء موجود يتحول الي الاثير ، وبرهن على صحته بما أجراه من التجارب العديدة على كيفية تطور المادة من حالة الى حالة الى أن ينتهى أمرها الي الاثير ،ومن شاء فليراجع هذا الكتاب باللغة الفرنسية ـ وأخبرني عدة أساتذة ان اصل السكون الاثير وفى القرآن «ثم استوى الي السماء وهي دخان»

الفطرة) هى الاعتقاد بوجود اله مختار ، خلق الكائنات واعتنى بها ، وهو يتميز عن العوالم الكونية ، وعن النوع الانسانى

ووجود روح فى جسم الانسان ، متصفة بالذكاء والحرية ، ومحبوسة فى هذا الجسم المادى أمدا لتبتلى فيه ، وهذه الروح يمكنها بارادتها أن تطهر هذا الجسم وتنقيه اذا عرجت به نحو السماء كما يمكنها أن تسفله باستئناسها بالمادة الصماء »

وقال جول سيمون فى كتابه الديانة الطبيعية : « كل أصول مذهبنا هذا واضحة لارموز فيها ، أما أصوله فهى الاعتقاد بوجود اله قادر على كل شىء ولا يغيره شىء ، خلق العوالم وحكمها بقوانين ونواميس عامة . ووجود حياة أخرى تؤدى لنا كل وجود هذه الحياة .

وتكافىء المظالم بالجزاء الأوفى »

بعث ؟

قريش — هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ٧ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ٨ سورة سبأ

إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا

العاصى بن وائل — جاء النبى صلى الله عليه وسلم بعظم ففته وقال : يا محمد . أيبعث هذا بعد ما أرى ؟ لك

القرآن — وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ

وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢٧
سورة الروم

المسلم — نعم الاعادة أسهل من البدء

القرآن — أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ٨١ سورة يس

المسلم — الله الذى خلق هذا الكون العظيم بقدرته وحكمته أفيعجز عن إعادة الانسان بعد الموت — ما أجهل الكافر وما أضله

القرآن — وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ. حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٥٧ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ٥٨
سورة الاعراف

المسلم — نرى الأرض هامدة فاذا انزل الله عليها الماء اهتزت وربت ونفخت فيها حياة — أفلا يحيي الله ميت النفوس كما أحياها ؟ مثل النفوس الطيبة كأرض طيبة لاتخرج إلا زرعا حسنا — ومثل النفوس الخبيثة كأرض خبيثة لاتخرج إلا زرعا رديئا عديم النفع .

لماذا نبعث ؟

العرب - إنْ هِيَ إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ٣٧ سورة المؤمنون

القرآن - وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ٦٠ القصص

المسلم - هنا حياة قليلة — لذاتها منقطعة ، متاعها قليل ، لابد من حياة أخرى لا انقطاع لها .

لماذا أعدم وأفنى من الوجود ؟

إنما الموت والبعث جعلا للتخلص من هذه المادة التى تبدل وتفنى لتلبس نفوسنا مادة باقية أبدية

القرآن — وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ٢٧ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ٢٨ سورة ص

المسلم — كل شيء مخلوق بحكمة وله غاية مطلوبة منه وهى ثمرة وجوده والانسان أعطى عقلا ليميز به الخير من الشر - ومنح نفسا ليزكيها أو يدنسها وتلك غايته ، ولهذا خلق .

القرآن — أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ٣٦ سورة ن

المسلم — ليس من العدل أن يجعل الله المصلح كالمفسد ، والتقى كالشرير

إن هذا مما يستنكره العقل ويستقبحه

أيستوى الذى فكر حتى أوتى المعرفة ـ ومن انغمس فى شهواته مغمضاً عينيه . .

الله عادل ، و كل شىء بميزان ، والبعث من العدل .

الجنة والنار

القرآن — وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ٢٢ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ٢٤ تَظُنُّ(١) أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ٢٥ سورة القيامة

المسلم — فى الآخرة ترى نفوسا بهية متهللة متمتعة بالنظر إلى ربها ما أعظمها لذة .

وهنالك نفوس عابسة مقطبة ، متوقعة داهية تحل بها أبدا ـ فما أصبرهم على النار .

القرآن — كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ١٥ سورة المطففين

المسلم — الشريرون هم الذين دنسوا نفوسهم وغطوها بدخان الآثم حتى حجبوا عن النظر إلى ربهم ولقائه ، هم الذين ظلموا أنفسهم ولم يظلمهم ربهم

---

(١) تأمل قوله تعالى «تظن» لتعلم أنه سبحانه أراد بالوجه ذات الانسان القدسية .

القرآن — إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ٥٦ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ٥٧ سورة القمر

المسلم — أتقياء القلوب سيكونون فى الجنان عند ربهم فى حضرته قدسية

القرآن — فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ٩٤ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ٩٥ سورة الشعراء

المسلم — الذين أطاعوا إبليس وجنوده ، حقيق بهم أن يحشروا معه فى نار جهنم فتمتلئ منه ومنهم أجمعين .

القرآن — نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ٨» سورة الهمزة

المسلم — نار الله تحيط بقلوب الكفرة الشريرين وأرواحهم

القرآن — إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٩ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٠ سورة يونس

المسلم — ما أسعد أهل الجنة — هنالك يشتركون مع ملائكة الله فى التسبيح بحمده والتقديس له — ويحييهم ربهم بسلام منه — والملائكة تدخل عليهم من كل باب قائلين لهم : سلام عليكم بما صبرتم

القرآن — يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ٤٢ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ٤٣ سورة ن

المسلم — إن الذين لم يصلوا فى الدنيا ولم يذوقوا لذة مناجاة ربهم لايستطيعون الصلاة له سبحانه ، ومناجاته فى الآخرة — فليس لهم أن يكونوا فى الجنان مع الملائكة المسبحين — بل لينزلوا فى الهاوية مع مردة الشياطين

القرآن — وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تحتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٧٢ سورة التوبة

المسلم — المؤمنون والمؤمنات يتنعمون فى الجنان الخالدة ، ورضوان الله عليهم أكبر وأعظم لذة ونعيما من هذه الجنان

القرآن — وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ٧٢ الاسراء

المسلم ـ يجب أن أفتح عينى وأتدبر آيات الله ، وأقرأ كتاب الكون محليا نفسى بالحكمة مبعدها عن الرجز حتى أبعث بصيرا — فمن أبصر هنا أبصر هنالك — ومن عمى هنا فهو هنالك أعمى .

القرآن — فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٧ سورة السجدة

حديث قدسى — قال تعالى : «أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » خ

المسلم — آمنت بالجنة والنار — وقد مثلهما لنا ربنا بأجلى بيان على قدر عقولنا — وليس فى الجنة من هذه الدنيا إلا الأسماء

النبي — (١) تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة . مالى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ فقال الله عز وجل للجنة : «أنت رحمى أرحم بك من أشاء من عبادى ، وقال للنار : أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى . . . ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا » خ

(٢) إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن : تتبع كل أمة ما كانت تعبد ـ خ

(٣) إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون وما لنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا مالم تعطه أحدا من خلقك ، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون يارب وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا — ق

(٤) أول زمرة تلج الجنة ، صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون ... لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيا — م

(٥) يدخل أهلُ الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : «أخرجوا من كان فى قلبه مثقالُ حبة من خردل من إيمان» ، فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون فى نهر الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل ، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية ـ خ

(٦) يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفى قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير خ

الكونت هنرى دى كاسترى: — ومن مزايا الاسلام أنه دين رحيم فهو يعد الجنة والنعيم لكل مؤمن من دون تمييز على التقريب ، فالمحارب يموته شهيداً ، والعالم يكتفى بتلاوة القرآن والاثنان مقبولان عند الله ، وللفقير مكان علىٌ ، وللغنى درجة رفيعة .(١)

حلال وحرام

العرب — جعلوا لله قرابين من المزروعات والأنعام ، ولآلهتهم وسدنتها قرا بين أيضا — وفى كثير من الأحيان يأخذون قرابين الله ويضمونها إلى قرابين آلهتهم — أما قرابين هؤلاء الآلهة فلا يأخذون منها شيئا .

كانوا يقربون القرابين والضحايا حتى من بنى الانسان . وقد كاد يقدم عبد المطلب ابنه عبد الله قربانا يذبحه لآلهته لولا أن أشارت عليه الكهنة بفدائه بالابل

وحرموا بعض الأنعام والزروع إذا توفرت فيها شروط خاصة — كما حرموا بعض مافى بطون الأنعام على النساء دون الرجال إلا إذا كانت ميتة فانهم يشتركون فيها جميعا رجالا ونساء .

القرآن — قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ١٤٠ الأنعام

العرب — كانت المرأة تطوف بالبيت عريانة وعلى فرجها خرقة وهى تقول:

---

(١) الاسلام ص٨٨

اليوم يبدو بعضه أوكله   وما بدا منه فلا أحله — م

القرآن — وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا ، قُلْ إِن اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ٢٨ سورة الاعراف

على الهامش : — ومن يتصفح أصل الديانات يجدها على غاية من البساطة والسهولة . ولكن حامليها من الكهنة والأحبار والرهبان والعلماء الذين ورثوها الرسل — جعلوها ثقيلة كالجبل ومعقدة ذات طلاسم ورموز ومفرعة ذات أصول وجذوع وأبواب وفصول . وضعوا الأوزار الثقيلة على ظهور أتباعهم ، وربطوا الأغلال المتعددة فى عنق مقلديهم ، وهذا والله غاية العجب إذ أن المكلف بالعبادة هو الله وحده وهو لم يأذن لأحد غيره أن يحد حدودا ويشرع شرائع ويفرض عبادات « قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا ، قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ ٥٩ سورة يونس

قدس اليهود والنصارى وغيرهم آراء أحبارهم ورهبانهم حتى اتخذوهم أربابا من دون الله ، (أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه ، و إذا حرموا عليهم شيئا حرموه ت)

وهل بدل الدين إلا الملوك   وأحبار سوء ورهبانها

والاسلام لم يشرع قوانينه كاسترى إلا عند الضرورة المطلقة وإنما هى قوانين عامة صالحة يجرى عليها ، وكان ينهاهم النبي والقرآن عن السؤال لئلا تتسع القوانين فلا تطاق بعد «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْئَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ

عَفَا اللهُ عَنْهَا وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٠١ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ١٠٢ سورة المائدة »

كان الدين سهلا ولكننا جعلناه عسيرا كما ترى فى كتب الفقه والتوحيد اليوم ، قال الغزالى: ولو سئل الفقيه .. حتى عن الاخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذى فى إهماله هلاكه فى الآخرة، ولو سألته عن الظهار واللعان والسبق والرمى لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التى تنقضى الدهور ولا يحتاج إلى شىء منها»، أيها المسلمون هيا فلنرجع بالدين إلى جوهره الأول، جوهر اللطافة والحسن(١)

بنات وآلهـــة

العرب:— الملائكة بنات الله تعالى تقربنا إلى الله زلفى — وتشفع لنا عنده فى قضاء مآربنا ودفع الضر عنا — جعلوا لها تماثيل ملموسة كاللات والعزى ومناة

القرآن(١)— إنكم تكرهون البنات حتى ان أحدكم إذا بشر بولادة فتاة له ـ اسود وجهه وتوارى من قومه ، وفكر فى نفسه أيئدها فى التراب أم يبقيها على ذل (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى؟ ١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ٢٠ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ٢٢ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ، إِنْ

---

(١) اسماء أول ص ١٩

يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ ، وَلَقَدْ جَاءهُم مِنْ رَبِّهِمُ الهُدَى ٢٣
سورة النجم

(٢) أنتم لم تروا الملائكة فكيف تحكمون عليهم بأنهم بنات (وجَعَلُوا المَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ستُكتَبُ شَهَادَتُهُم وَيُسْئَلُونَ

٣ ـ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كما يَقُولُونَ إِذًا لابتَغَوا إِلَى ذِي العَرْشِ سَبِيلًا ٤٢ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ٤٣ تُسَبِّحُ له السَّمَوَاتُ السَّبعُ وَالأرضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفقَهُونَ تَسبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤٤ سورة الاسراء

الكون كله وحدة مرتبطة بعضها ببعض — كل شيء فيه يشهد بوحدانية الله ، وينطق بعظمته وحكمته .

وله فى كل تحريكة وتسكينة فى الورى شاهد
وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

قريش . للنبى — لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنأمرنها فتخبلنك

القرآن — أَلَيسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٣٦ وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ٣٧ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ، قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ، قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ المُتَوَكِّلُونَ ٣٨ سورة الزمر

قريش — أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٥ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ(١) إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ٧ سورة ص

مرض سعيد بن العاص من أسرة بنى أمية مرضه الذى مات فيه فدخل عليه أبولهب يعوده فوجده يبكى ، فقال : مايبكيك ؟ أمن الموت تبكى ولابد منه ؟ قال : لا - أخاف ألا تعبد العزى بعدى ، قال أبولهب والله ماعبدت حياتك لأجلك ولا تترك عبادتها بعدك لموتك . قال : الآن علمت أن لى خليفة

الثبات

قريش : — أتضلل آباك وأجدادك يامحمد ؟ — ثم ذهبوا إلى عمه أبى طالب وقالوا له : «إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا وضلل آباءنا ؛ فاما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلى بيننا وبينه ، فانك على مثل مانحن عليه من خلافه فنكفيكه »

أبو طالب — ردهم ردا جميلا فانصرفوا

النبى — مضى على ماهو عليه ليظهر دين الله و يدعو إليه

قريش — تذمرت وحض بعضهم بعضا عليه صلى الله عليه وسلم ثم قالوا : ياأبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا لانصبر على هذا حتى تكفه أو ننازله وإياك .

---

(١) أي أن النصارى يقولون ببنوة المسيح وتثليث الآلهة

أبو طالب:— عظم عليه فراق قومه وعداوتهم ولم تطب نفسه باسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وخذلانه — فبعث اليه

النبي — جاء لعمه .

أبو طالب: — ياابن أخي ، إن قومك قدجاءوني وقالوا لي كذا وكذا فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيق

النبي :— ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أوأهلك فيه ماتركته .

ثم انصرف وفي جفنه دمعة تترقرق على جهل قومه

أبو طالب: — أقبل ياابن أخي

النبي — أقبل صلى الله عليه وسلم

أبو طالب: — اذهب فقل ماأحببت فلا أسلمك أبدا

قريش: — ياأبا طالب هذا عمارة بن الوليد — أجمل فتى في قريش اتخذه ولدا لك وأسلم الينا ابن أخيك نقتله ، هذا الذي فرق الجماعة ، وخالف الآباء — رجلا برجل

أبو طالب: — لبئس ماتساومونني — أتعطوني ابنكم أغذوه — وأعطيكم ابني تقتلونه ، هذا مالا يكون أبدا

الاضطهاد الدينى

حارت قريش فى أمرها ، واشتد الأمر ، وخافت على سقوط آلهتها ، فقامت كل أسرة تنكل بمن آمن منها حتى يردوهم عن دينهم ، يحبسونهم ، ويعذبونهم بالجوع والعطش ، وبرمضاء مكة وقت الهاجرة ، حتى مايقدر أحدهم على أن يستوى جالسا من شدة الذى نزل به .

بنو أمية — يوثقون عثمان بن عفان كتافا قائلين : لانحلك أبدا حتى تدع ما أنت عليه » فيقول لهم : « كلا والله لا أدعه أبدا ولا أفارقه »

أسرة الزبير بن العوام تعذبه بدخان النار ليختنق .

خالد بن سعيد — يضربه أبوه بالمقرعة حتى تنكسر على رأسه قائلا : «اتبعت محمدا وأنت ترى خلافه لقومك وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم ، اذهب يالكع حيث شئت والله لأمنعنك القوت » ثم طرده على وجهه وأمر اخوته بألا يكلمه أحد منهم .

والدة سعد بن أبى وقاص تضرب عن الطعام والشراب حتى يمس ابنها أسافا ونائلة ويكفر بما جاء به محمد ، فيقول لها : « تعلمين والله ياأمة لو كان لك مائة نفس تخرج نفسا نفسا — ماتركت دين هذا النبى صلى الله عليه وسلم فكلى إن شئتى أو لا تأكلى » — فقالت أو ليس الله قد أمركم بالبر فتلا : «وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٨ العنكبوت» فأكلت وصارت تصيح بأعلى صوتها فى الشوارع : « ألا أعوان يعينونى عليه فأحبسه فى بيت وأطبق عليه بابه حتى يموت أو يدع هذا الدين

المحدث» فرأى أن يبتعد عنها فنزل ضيفا على أحد إخوانه المؤمنين ، فارسلت إليه أن ارجع فرجع فتارة كانت تلقاه بالبشر وطورا بالعبوس وآونة تعيره باخيه عامر : هو البر لايفارق دينه ولا يكون تابعا .

فلما أسلم عامر هذا أيضا لقى منها أكثر مما لقى أخوه .

آل ياسر

عمار بن ياسر — يلبسونه درعا من حديد ويكوونه بالنار حتى لا يدرى ما يقول

ياسر — مات فى العذاب شهيدا

أم عمار — يعذبها أبو جهل وهى عجوز كبير فتصبر صبر سقراط الحكيم — ثم يطعنها هذا الطاغية بحربة فى يده — قتلت أم عمار — إلى الخلود مع الشهداء

النبى :— صبرا آل ياسر صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة

بلال

أمية بن خلف — يخرجه فى الظهيرة ثم يطرحه على ظهره ، ويأمر بالصخرة العظيمة أن توضع على صدره

يربطه بحبل فتطوف الأطفال به فى أودية مكة المحرقة

بلال :— أحد ، أحد

ما هذا الايمـان ، وما تلك الشجاعة يابلال ، أحكيم من الحكماء أم نبي من الأنبياء

أبو بكر — ألا تتق الله فى هذا المسكين ! حتى متى ؟

أمية — أنت الذى أفسدته — وأنقذه ممـا ترى

أبو بكر — أحضر له عبدا وثنيا كان له

أمية : قبلته — خذ هذا الصابىء

بلال — أعتقه أبو بكر فصار من الأحرار

أبو بكر وأبوه

أبو بكر — أعتق سبعة كلهم يعذب فى الله (ابن أبى حاتم)

أبوه (أبو قحافة) — أراك تعتق رقابا ضعافا ، فلو أنك أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك ؟

أبو بكر — ياأبت إنمـا أريد ماعند الله (الحاكم)

مجاهدات صابرات

زنيرة — مملوكة أسلمت — فكان جزاؤها العذاب والاضطهاد

أبو بكر — أعتقها

زنيرة — مرضت بعينيها

قريش :— ماأصاب بصرها إلا اللات والعزى

زنيرة :— كذبوا — ما تضر اللات والعزى وما تنفع

غيرها — وكذلك عذبت أم عنيز والنهدية وبنتها وغيرهن ، وعلى أكتافهن رفع منار الهدى . والقرآن هو الذى رفع مركزهن وأعطاهن حقوقا كحقوق الرجال ، تراه يوقف الذين يقتلون بناتهن أحياء أمام العدل الالهى ، وهنالك تحدث الأسئلة والأجوبة التى توجه إلى الظالم والمظلوم «وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» وكانت العرب تبغض البنات ويكاد أحدهم يقتل نفسه إن ولدت له فتاة إن لم يقتلها فأبان الله أنه هو الذى يعطى الاناث والذكور «يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ»

والقرآن لم ينزل للرجال فحسب بل وللنساء أيضا ، فكلاهما مطالب أمامه بما يجب عليه «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٩٧ سورة النحل

مسيو ريغيل : — على أنا لو رجعنا إلى زمن النبى ومكان ظهوره ، لما وجدنا عملا يفيد النساء أكثر مما آتاه عليه السلام ، فهن مدينات لنبيهن بأمور كثيرة ، وفى القرآن آيات ساميات فى حقوقهن وما يجب لهن على الرجال»(١)

الصبر

المسلمون—أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برده فى ظل الكعبة وقد لقوا من المشركين شدة .

أحدهم — ألا تدعو الله ؟

---

(١) راجع الاسلام لهنرى ديكاسترى ص ٥٨

النبي صلى الله عليه وسلم ـــ قعد وهو محمر وجهه فقال : لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مادون عظامه من لحم أو عصب ، مايصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت ما يخاف إلا الله (١)

القرآن ـــ قص عليهم القرآن مالاقاه الرسل الأولون ومتبعوهم من اضطهادات دينية ونفى عن الوطن .كما ترى فى قصص نوح وهود وصالح وابراهيم وأصحاب الأخدود وأهل الكهف وغيرهم ،والذى يروعك أن كل قصة تصور لك انتصار المؤمنين بعد صبرهم الطويل وظهورهم على أعدائهم ، كماتروعك هذه البشائر التى تؤكد بكل يقين ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعد ، وفناء قوم المضطهدين. سُنَّةَ اللهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا

دار الأرقم

بينا النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه على عنقه ، فخنقه خنقا شديداً ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ، ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم قائلا : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ... » (٢)

ورأوا أصحاب النبي يصلون فى الجبل مستخفين ـــ فأنكروا عليهم صلاتهم وحدثت بينهم معركة كادت نار الحرب تضطرم فيها .

كل هذا وما عسى أن يكون قد حدث ، حدا بالنبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) البخارى (٢) البخارى

وأصحابه إلى أن يلجأوا الى دار أحدهم (الأرقم عند جبل الصفا).

فصارت لهم تلك الدار كمدرسة يعلمهم فيها النبي صلى الله عليه وسلم الحكمة والكتاب ، وكمسجد أيضا يقومون فيه بالصلوات والتسابيح والتلاوة .

وأبو بكر ألح مرارا على النبي صلى الله عليه وسلم فى الخروج ليصلوا فى الكعبة — فخرجوا ولما طافوا حول البيت قام أبو بكر خطيبا يدعو إلى الله وينادى بفساد عقيدة الوثنيين — فغضبت قريش والتفوا حول المسلمين وأوسعوهم ضربا ولكما ، وخلع أحدهم نعليه وضرب بهما وجه أبى بكر حتى خدشه وسال منه الدم ؛ ولولا أسرته لذهبت روحه ضحية الحق

إلى الحبش

ولما اشتد الأذى والاضطهاد — جاء المؤمنون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون مايجدونه فقال .

«لو أنكم تفرقتم فى الأرض حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه»
فقالوا إلى أين نذهب ؟

فاشار صلى الله عليه وسلم إلى الحبش قائلا : «إن بها ملكا لا يظلم عنده أحد» .

وفى رجب من السنة الثامنة قبل الهجرة (٦١٤ م) خرجوا متسللين حتى أتوا البحر فاستأجروا سفينة — ولا يخفى مافى ركوب البحر من الأخطار وما فى ترك الوطن من مضاضة وألم — وكان عدد هؤلاء أحد عشر رجلا وخمس نسوة ، منهن رقيه بنت النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجها عثمان بن عفان .

وبعد أشهر قلائل هاجر إليهم من كمل العدد بهم مائة واثنين وثلاثين.

ولم يختر النبي صلى الله عليه وسلم للهجرة إحدى الممالك المجاورة كاليمن والشام والعراق لأن لها صلات تجارية مع قريش. أما الحبش فنائية وبها ملك عادل

ولم يخف النبي صلى الله عليه وسلم على دين هؤلاء المهاجرين — وهم حدثاء عهد بالاسلام — من أن يتسرب إليه شيء من النصرانية لأن الاسلام دين النور والعقل، وما كان لعاقل أن يترك الحق والنور ويذهب إلى الباطل والظلمة

ومن هنا تدرك الفرق الجلي بين هؤلاء المسلمين المهاجرين، وبين اليهود الذين طلبوا من موسى آلهة كالأمم عند ما مروا بهم. وكيف عبدوا العجل حين غاب عنهم أربعين يوما.

وبعثت قريش إلى النجاشي ملك الحبش سفيرين: عمرو بن العاص، وابن أبي ربيعة ومعهما هدايا ثمينة لكي يرجعا بمن هاجر.

فقالا له: أيها الملك — إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينك وقد بعثنا إليك أشراف قومهم لتردهم عليهم».

فأرسل النجاشي الى المهاجرين فلما مثلوا بين يديه قال ماهذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى ديني؟»

فقال زعيمهم جعفر بن أبي طالب: «أيها الملك - كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فبعث الله الينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث

وأداء الأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء . ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة . . . فصدقناه وآمنا به - فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الأوثان - وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا - فخرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا الا نظلم عندك أيها الملك »

فقال النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قال نعم - وقرأ عليه أول سورة مريم بما يختص بقصة زكريا ويحيى ومريم وعيسى » فبكى النجاشى وأساقفته حتى اخضلت لحاهم ثم قال « إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة - انطلقا فلا أسلمهم إليكما أبدا » وبذلك خابت قريش فى مسعاها ، وظل المهاجرون يعبدون الله وحده فى أرض الحبش لايخافون أحدا إلا الله

حمزة وابن الخطاب

ومضى الكفار فى الاضطهاد ، وأبو جهل رأى النبى صلى الله عليه وسلم عند الجبل فسبه ، وصب التراب فوق رأسه واضعا رجله على عاتقه ، والنبى صلى الله عليه وسلم لا يتكلم وسمع عمه الحمزة بن عبد المطلب بهذا الايذاء فاغتاظ غيظا شديدا وذهب إلى أبى جهل فوكزه وانتهره قائلا : « أتشتمه ؟ » فقال : « سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا » قال : « ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أنا على دينه أقول مايقول فرد على ذلك إن استطعت » - ثم رجع إلى منزله وبات يفكر طيلة ليلته : « أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابىء وتركت دين آبائك الموت خير لك مما صنعت »

ولم يكد يسفر الصباح حتى توجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكاشفه بما جال فى صدره ـ فتلا عليه النبي صلى الله عليه وسلم قرآنا فاقتنع وأعلن إسلامه على رءوس الأشهاد ـ فسر المؤمنون بانضمامه إليهم لأنه كان أعز فتى فى قريش

وأسلم أيضا عمر بن الخطاب ذلك الفتى النابه الذى كان من أشد المضطهدين لمن آمن (واجتمع الناس عند داره وقالوا صبأ عمر) وبينما هو فى داره خائفا إذ جاءه العاصى بن وائل عليه قباء من ديباج ـ فقال له : ما بالك؟ قال زعم قومك أنهم سيقتلوننى إن أسلمت قال : لا سبيل إليك فخرج العاصى فوجد الناس قد سال بهم الوادى فقال : « أين تريدون ؟ » قالوا : نريد هذا ابن الخطاب الذى صبا » قال : « لاسبيل إليه فأناله جار » فكر الناس [1]

وقال عمر : « يارسول الله والذى بعثك بالحق ما بقى مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الاسلام غير هائب ولا خائف » وأشار على النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج من دار الأرقم وهم يومئذ نيف وأربعون رجلا عدا من هاجر . فخرج المسلمون فى صفين ، حمزة على أحدهما وعمر على الآخر وهو يهتف قائلا : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ولما وصلوا الى الكعبة طافوا حولها علانية ـــ فعلت الوثنيين كآبة لم تصبهم من قبل .

المقـــاطعة

قريش ـــ هاهو قد زاع صيت محمد ـــ وكل يوم يعتنق دينه كثير من الناس على مرأى منكم ـــ وقد قمنا ننصر آلهتنا ونعاقب من كفر بها ولكنهم مالبثوا أن فروا الى الحبش ولجأوا الى ملكها ـــ وقد طلبنا من

(١) البخارى

أبى طالب محمدا لنقتله كى نستريح فأبى ومنعه ــ هيا فلنقاطع محمدا وأسرته أو يسلموه الينا ــ المقاطعة المقاطعة

فالتأم من ثم مجلس عام ضد النبي صلى الله عليه وسلم وأسرته وقرروا:

(١) أن يمنعوا عنهم الميرة والمادة.

(٢) أن يمنعوهم من حضور الأسواق . ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم

(٣) ألا يزوجوهم ولا يتزوجوا منهم

(٤) أن يضيقوا عليهم ويخرجوهم من مكة إلى الجبل

(٥) ألا تأخذهم بهم رأفة ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا حتى يخلوا بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة عند آلهتهم

فى الشعب ــ فدخل الشعب بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم إلا أبا لهب فانه تحيز إلى قريش

جهدوا حتى كانوا يأكلون ورق الشجر ــ وكلما اشتد بهم الجوع ذهب أحدهم إلى السوق ليشترى طعاما لجوعتهم ــ فتزيد قريش فى قيمة السلعة أضعافا حتى يرجع إلى أهله وأطفاله وهم يتضورون من الجوع وليس فى يده شيء

النبي ــ ظل يدعو قومه مناديا بأمر الله لا يتقى أحدا من الناس

من الشعب ــ وظلوا فى الشعب ثلاث سنوات (من سنة ٦ إلى سنة ٣ قبل الهجرة) حتى قام نفر من ذوى الشهامة فاعلنوا نقض المقاطعة ومزقوا الصحيفة التى كتبت .

على الهامش

رسل الله فى الأزمان السالفة ، يؤيدهم ربهم بخوارق العادات ليثبته نبوتهم وشرائعهم .

فموسى النبي أعطاه الله العصا واليد والآيات التى صنعها لفرعون ، والآيات التى صنعها لقومه اليهود بعد خروجهم من مصر .

وإلياس رسول الله أحيا الموتى (ملوك أول ص١٧ : ١٧ — ٢٤) وقدم قربانا أكلته النار (ملوك أول ص ١٨ : ٣٠ — ٤٠) وفلق البحر (ملوك ثانى ص ٢ : ٧ — ٩) .

واليسع رسول الله أحيا الموتى (ملوك ثانى ص ٤ : ٢٧ — ٣٠) ، وأبرأ الابرص (ملوك ثانى ص ٥ : ٨ — ١٠) وشفى المرضى (ملوك ثانى ص ٨)

وعيسى ابن مريم عبد الله ورسوله أعطاه الله إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، وصالح رسول ثمود ، أعطى الناقة . . .

هذه الآيات المحسوسة والخوارق العجيبة كذب بها أكثر من رآها وادعوها سحرا .

ففرعون وقومه ظنوا أن ما أتى به موسى من المعجزات سحر (وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ١٣٢ سورة الاعراف)

هذا واليهود أنفسهم لم تؤثر فيهم تلك الآيات التى صنعها لهم النبي موسى بل طلبوا منه آلهة يسيرون وراءها كالأمم ، وعبدوا العجل من بعده ، وكثيرا

ماشقوا عصا الصاعة .

وبعد سليمان عبدوا البعل فارسل الله اليهم الياس واليسع بالآيات فكذبوهما وظلوا على وثنيتهم .

والمسيح لما جاء بنى اسرائيل بالخوارق ظنوا أن به شيطانا أو أنه ساحر «فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ١١٠ سورة المائدة »

على أن هذه الآيات التى صنعها رسل الله لم تكن باقية متنقلة مع الزمن فشك فيها من سمع عنها وزادهم انكارا رؤيتهم خوارق الهنود وكرامات الصوفية وتخييلات السحرة والمشعوذين — ثم قالوا : لانؤمن بمعجزة نبى فندين بدينه الا اذا شاهدناها بأعيننا وحكمنا فيها عقولنا ، وفحصناها فحصا دقيقاً بأنفسنا —

وهكذا أراد الله أن يجعل للشريعة الاسلامية التى رضيها للناس وجعلها الباقية ، الماحية لكل الشرائع الماضية — أراد لها سبحانه معجزة باقية لكل قرن ولكل عصر حتى تنتهى القرون والعصور .

ولما كان القائمون بالحكم على معجزات الانبياء هم العلماء وحدهم وغيرهم من الناس تبع لهم — جعل الله معجزة هذه الشريعة العامة علمية عقلية .

ولم يشأ ربك أن يفصل الوحى عن المعجزة بل جعل الوحى هو المعجزة والمعجزة هى الوحى .

مثل وحى الأنبياء السابقين كمثل مصابيح النور جاء بها رسل الله ومعهم أسلحة هى المعجزات يذبون بها عن نورها ، حتى اذا مات الرسل بقيت المصابيح منفردة ليس معها سلاح يدافع عنها الا القوم الذين قبلوها .

ومثل القرآن كمثل الشمس فى السماء تضئ للناس وتحمى نفسها بنفسها

فلا يستطيع أحد أن يمد يده اليها لأنها مرفوعة لاتتناولها الأيدى وهى محفوظة الى يوم الدين (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ٩ سورة الحجر

فدلالة القرآن على نبوته صلى الله عليه وسلم ليست هى مثل دلالة انقلاب العصا حية على نبوة موسى، ولا إحياء الموتى على نبوة عيسى، وابراء الأكمه والأبرص - فان تلك وان كانت فعالا لاتظهر الا على ايدى الأنبياء وهى مقنعة عند الجمهور - فليست تدل دلالة قطعية اذا انفردت، اذا كانت ليست من أفعال الصفة التى بها سمى النبي نبيا .

واما القرآن فدلالته على هذه الصفة فهى مثل دلالة الابراء على الطب[1]»

حاشيـــــية

الرسل السابقون لم يجعلوا لقومهم علامة النبي الصادق من الكاذب صنع الآيات والأعاجيب، بل تراهم جعلوا وحى النبي وما يدعو إليه هو المعجزة له وحذروهم من الكذابين الذين يصنعون الآيات والأعاجيب ويدعون الناس إلى الوثنية والشر — استمع الوصية التى ألقيت إلى بنى إسرائيل لكى يميزوا النبي الصادق من الكاذب .

(١) إذا قام فى وسطك نبي أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة

(٢) ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلمك عنها قائلا لتذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها

(٣) فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم، لأن الرب إلهكم يمتحنكم ... ص ١٣ تثنية »

---

(١) فلسفة ابن رشد ص ٨٢

وها هو المسيح أيضا يحذر تلامذته وأتباعه من الأنبياء الكذبة الذين يصنعون الخوارق والآيات ولكنهم يدعون إلى الشر — وجعل لهم علامة النبي الصادق الوحي الذي يأتي به فقط فقال :

(١٥) احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة ١٦ من ثمارهم تعرفونهم هل يجتنون من الشوك عنبا ومن الحسك تينا ١٧ هكذا كل شجرة جيدة تصنع ثمارا جيدة ، وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارا ردية ١٨ لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارا ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارا جيدة ١٩ كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار ٢٠ فاذاً من ثمارهم تعرفونهم . . . . ٢٢ كثيرون سيقولون لى أليس باسمك تنبانا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة ٢٣ فحينئذ أصرح لهم : إنى لم أعرفكم قط ، اذهبوا عنى يافاعلى الاثم ص٧ متى)

يطلبون آية

قريس — هلا جئتنا بآية من السماء تصدقك .

القرآن — أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٥١ سورة العنكبوت

قريس — أساطير الأولين نقلت إليك — ولو شئنا لقلنا مثلها

القرآن — أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٣ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ

فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ؟ ١٤ سورة هود

المسلمون — فيكم الشعراء والخطباء — فأحضروا شعراءكم وخطباءكم وكهانكم ، واستعينوا بكل من تظنونه يساعدكم من العلماء والأحبار والرهبان وبجميع الكتب السالفة والآراء ، والمعتقدات ، ثم ألفوا عشر سور من مثل هذا القرآن ، فان عجزتم — وأنتم لامحالة عاجزون — فاشهدوا بأننا مسلمون

القرآن — وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَارَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٣٧ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٣٨ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ، كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ٣٩ سورة يونس

قريش — ائت بقرآن غير هذا القرآن الذى يسب آلهتنا ويسفه عقولنا ويضلل آباءنا ، ائت بقرآن ليس فيه بعث ولا قيامة ولا حساب ولا جزاء

القرآن — وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ، قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥ قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ، فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٦ سورة يونس

البوصيرى : عجبا للكفار زادوا ضلالا بالذى فيه للعقول اهتداء
والذى يسألون منه كتاب منزل قد أتاهم وارتقاء

أولم يكفهم من الله ذكر فيه للناس رحمة وشفاء
سور منه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء
والأقاويل عندهم كالتماثيل فلا يوهمنك الخطباء
أعجز الانس آية منه والجن فهلا تأتى بها البلغاء
كم أبانت آياته من علوم عن حروف أبان عنها الهجاء
كل يوم يهدى إلى سامعيه معجزات من لفظه القراء
فأطالوا فيه التردد والريب فقالوا سحر وقالوا افتراء
وإذا البينات لم تغن شيئا فالتماس الهدى بهن عناء
وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء ؟

دى كاسترى :— ولو لم يكن فى القرآن غير بهاء معانيه ، وجمال مبانيه ، لكفى بذلك أن يستولى على الأفكار ، ويأخذ بمجامع القلوب .

أتى محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن دليلا على صدق رسالته ، وهو لا يزال — إلى يومنا هذا — سرا من الأسرار التى تعذر فك طلاسمها ، ولن يسبر غور هذا السر المكنون إلا من يصدق بأنه منزل من الله

يقترحون آيات حسية

قريش : — تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر ... وأن عيسى كان يحيي الموتى ... وأن ثمود لهم الناقة ... فأتنا من الآيات حتى نصدقك (ابن جرير)

القرآن — إن الأمم ترتقى من المحسوس إلى المعقول كارتقاء الأفراد من الحسيات إلى المعنويات ـ وكل عصر تلائمه حجة توافق عقليته ـ ولما أراد الله أن يجعل الاسلام دينا عاما خالدا جعل له معجزة عامة خالدة تمشى معه جنبا إلى جنب بل جعلها روحه ومصدره ـ والعلماء يشهدون بصحتها و إعجازها (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ٣٨ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ٣٩ ... — وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ٤٣) سورة الرعد

قريش :— لقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا ، فلتسأل لنا ربك الذى بعثك ، فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا وليبسط بلادنا وليجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق

القرآن — كذبت الأمم الماضية بالآيات الحسية و توهموها سحرا فلو أعطيتموها لتوهمتم ما توهموا ـ وجاء من بعدكم فقالوا سحر محمد الناس وخيل إليهم تخيلات وهمية (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ، وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ٥٩) سورة الاسراء

قريش :— سل ربك ملكا يسير معك ويصدقك بما تقول ، وسله جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة تعينك على ما نراك تبتغى ، فانك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش

القرآن — كل من مضى من الرسل كان يجد ويكتسب ليأكل ، لأن الله خلق الانسان اجتماعيا ليختبره (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ؟ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ٢٠) سورة الفرقان

ابن أمية : — يا محمد لا نؤمن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه — ونحن ننظر — حتى تأتيها وتأتى معك بنسخة منشورة ومعك أربعة من الملائكة فيشهدون لك

القرآن — ١ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ١٤ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ١٥ سورة الحجر

٢ - وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ٧ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ٨ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ٩ سورة الانعام

قريش : — أيوحى الله إلى إنسان ؟ لماذا تأكل مثلنا يا محمد ؟ هل ستموت كما نموت ؟

القرآن — وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ٨ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ٩ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٠ سورة الأنبياء

ادوار مونتيه:— كان محمد نبيا صادقا كما كان أنبياء بنى اسرئيل فى القديم كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى اليه (١)

القرآن

(آيات منزلة من حول العرش ، فالأرض بها سماء هى منها كواكب ، بل هى الجند الالهى قد نشر له من الفضيلة علم ، ... وانضوت إليه من الأرواح مواكب ... وكم صدوا عن سبيله صدا ... فما كان إلا نور الشمس لا يزال الجاهل يطمع فى سرابه ثم لا يضع منه قطرة فى سقائه ...

ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة ، وإذا هى لانت فانفاس الحياة الآخرة ...

توهموا السحر ماتوهموه ، فلما أنزل الله كتابه ، قالوا هذا هو السحر المبين ، وكانو يأخذون فى ذلك بباطل الظن فأخذوا فى هذا بحق اليقين ..

بلى إنه لسحر حتى يفرق بين المرء وعادته ، وينفذ حتى يتصرف بين القلب وإرادته ... ويتصل بالروح فكأنما يمد لها بسبب إلى السماء ...

إنه حقيقة فى الوجود لم يكن يُعرف غير خيالها ، ومرآة فى يد الله تقابل كل روح بمثالها ...

يقولون مجنون ، بعض آلهتنا اعتراه ، وأساطير الأولين اكتتبها ، أم يقولون افتراه ، بلى إن العقل الكبير فى كماله ليتمثل فى العقول الصغيرة كأنه جنون وإن النجم المنير فوق هلاله ، ليظهر فى العيون القصيرة كأنه نقطة فوق نون.

وهل رأوا الا كلاما تضىء ألفاظه كالمصابيح ، فعصفوا عليه بأفواههم كما

---

(١) راجع مقدمة ترجمة القرآن للمستشرق ادولر مونتيه مدرس اللغات الشرقية بجامعة جنيف

تعصف الريح ، يدون أن يطفئوا نور الله - وأين سراج النجم من نفخة ترتفع إليه كأنما تطفيه ؟ ونور القمر من كف يحسب صاحبها أنها فى حجمه فيرفعها كأنما يخفيه - وهيهات هيهات . . .

لاجرم أن القرآن سر السماء فهو نور الله فى أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلود فى دولة الأرض إلى أن تدول .

وكذلك تمادى العرب فى طغيانهم يعمهون ، وظلت آياته تلقف مايأفكون (فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون) [١]

(قال المستشرق الفرنسى ماردريس : « أما أسلوب القرآن فهو أسلوب الخالق جل وعلا ، فان الأسلوب الذى ينطوى على كنه الكائن الذى صدر عنه هذا الأسلوب لايكون إلا إلهيا . والحق الواقع أن أكثر الكتاب ارتيابا وشكا قد خضعوا لتأثير سحره ، وإن سلطانه على الثلاثمائة الملايين من المسلمين المنتشرين على سطح المعمورة ، البالغ الحد الذى جعل الأجانب يعترفون بالاجماع بعدم إمكان إثبات حادثة واحدة محققة ارتد فيها أحد المسلمين عن دينه إلى الآن » [٢]

معجزة المعجزات [٣]

بلغ العرب فى عهد القرآن مبلغا من الفصاحة لم يعرف فى تاريخهم من قبل . . . فما عدا أن سفه أحلامهم ونكس أصنامهم وأزرى عليهم وعلى

---

(١) الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى كتابه اعجاز القرآن

(٢) راجع ترجمة هذا المستشرق فى مقدمته فيها — وقد صدر الكتاب بالفرنسية سنة ١٩٢٦

(٣) الاستاذ مصطفى صادق الرافعى فى كتابه اعجاز القرآن

آبائهم الأولين ، وقام على رءوسهم بالتقريع والتأنيب — وهم أهل الحمية والحفاظ ... ثم ذهب بطريقة كانت لهم معروفة ، وعادات كانت لهم مألوفة ... ولعمرك إن هذا لعجب ، وليس أعجب منه إلا أن أول جيل أنسل من هؤلاء القوم كان هو الذى تناول مفتاح العالم فأداره وقد خرج للغاية التى جاء بها القرآن وكأنه دار معها فى الأصلاب دهرا طويلا . . . وأين هذا كله أو بعضه من قوم كانوا بالأمس عاكفين على الأوثان يأكل بعضهم بعضا ولهم العادات المرذولة والعقائد السخيفة ... والانقياد لطبيعة التاريخ والمضى على ماوجدوا ، ثم الموت على ماولدوا ؟ . . .

كيف يتفق أن يكون كل ذلك من صنعة رجل قد نشأ فيهم واتصل بهم وذهبت عروقه بينهم واشجة ، وهو من صميمهم نسبا ووراثة ـ يعرفونه ويحققون جملة أمره ، ولم يخرج عنهم قط للعلم أو الطلب ، ولا طرأ عليهم من غير أرضهم ، ولا أنكروا عليه أمرا من لدن نشأته إلى حد الكهولة ، وإلى أن دب الشيب فى عذاريه ، وهم مستيقنون أنه ما كان يتلو من قبل من كتاب ولا يخطه ...

وقد كان من عادتهم أن يتحدى بعضهم بعضا فى المساجلة والمقارضة للقصيد والخطب ، ثقة منهم بقوة الطبع ، ولأن ذلك مذهب من مفاخرهم يستعلون به ، ويذيع لهم من الذكر وعلو الكلمة — وهم مجبولون عليه فطرة ولهم فيه المواقف والمقامات فى أسواقهم ومجامعهم . . .

فتحداهم القرآن فى آيات كثيرة أن يأتوا بمثله أو بعضه ، وسلك إلى ذلك طريقا كأنها قضية من قضايا المنطق التاريخى ، فإنما حكمة هذا التحدى وذكره فيه إنما هى أن يشهد التاريخ فى كل عصر بعجز العرب عنه ، وهم

الخطباء اللد ، والفصحاء اللسن ، وهم كانوا فى العهد الذى لم يكن للغتهم خير منه ولا خير منهم ، فكانوا مظنة المعارضة والقدرة عليها

وهو فى ذلك . . . يدعوهم صباحا ومساء أن يعارضوه إن كان كاذبا بسورة واحدة أو بآيات يسيرة ـ فكلما ازداد تحديا لهم بها ، وتقريعا لعجزهم عنها ، تكشف من نقصهم ما كان مستورا ، وظهر منه ما كان خفيا ، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له أنت تعرف من أخبار الأمم مالانعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا ، قال فهاتوها مفتريات ، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر .

قال الكونت هنرى دى كاسترى : — والعقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمى ، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بنى الانسان عن الاتيان بمثلها لفظا ومعنى (١)

شهادة

قريش : — رأوا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يزيدون

عتبة بن ربيعة : — وهو من سادتهم — ألا أقوم إليه فأعرض عليه أمورا نعطيها له فيكف عنا ؟

قريش : — بلى ياأبا الوليد ، قم إليه فكلمه

عتبة ـ ذهب اليه صلى الله عليه وسلم وقال : ياابن أخى إنك منا حيث قد علمت من المكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به

---

(١) الاسلام ص ١٨

الجماعة . . . فاسمع منى

النبى :— قل ياأبا الوليد — أسمع

عتبة :— إن كنت إنما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك حتى تكون أكثرنا وإن كنت انما تريد شرفا سودناك حتى لانقطع أمرا دونك وان كنت انما تريد ملكا ملكناك . . .

النبى :— أقد فرغت ياأبا الوليد ؟

عتبة :— نعم — قل

النبى :— بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ . حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٢ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٣ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ — سورة فصلت) ثم مضى فيها يقرأها

عتبة —: ألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما ليسمع بخشوع وهو متأثر

النبى — انتهى إلى السجدة منها فسجد (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ٣٧)

ثم قال : سمعت ياأبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك

عتبة — قام إلى أصحابه وقد أثرت الآيات فى نفسه

قريش :— نحلف لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به

عتبة — يجلس

قريش :- ماوراءك ياأباالوليد؟

عتبة :- سمعت قولا والله ماسمعت مثله قط ـ والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة

يامعشر قريش أطيعونى وخلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه . وان يظهر كنتم أسعد الناس به

قريش : - سحرك ياأبا الوليد بلسانه

عتبة :- هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم

المساواة

قريش - مرواعلى النبي صلى الله عليه وسلم وحوله فقراء المؤمنين فقالوا يامحمد : أهؤلاء من الله عليهم من بيننا . اطردهم . أرضيت بهم ؟ . إنا نريد أن تجعل لنامنك مجلسا . تعرف لنا به العرب فضلنا ، فان وفودهم تأتيك . فنستحى أن يرونا مع هذه الأعبد ، فاذا نحن جئناك فأقمهم عنا . فاذا نحن فرغنا فأقعدهم إن شئت .

أبو طالب - توجهوا إليه

قريش : - لو أن ابن أخيك يطرد عنه هؤلاء الأعبد كان أعظم فى صدورنا وأطوع له عندنا ، وأدنى لاتباعنا إياه

أبو طالب - كلم النبي صلى الله عليه وسلم

عمر بن الخطاب :— لو فعلنا ذلك حتى ننظر ماالذى يريدون ؟

القرآن: — ١ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ٥٢ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ٥٣ سورة الأنعام

٢ — وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ٢٨ سورة الكهف

وفاة أبي طالب وخديجة

مرض أبو طالب ، فجاءته قريش ، وجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فشكوه إلى أبي طالب ، فقال : ياابن أخي ماتريد من قومك ؟ قال : أريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب قال : وما هي ؟ قال : « لااله الا الله » فقالوا: اله واحد ! ان هذا لشيء عجاب . ولما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل فقال : « أي عم ـ قل لااله الاالله ؛ كلمة أحاج لك بها عند الله » .

فقال أبو جهل وعبدالله بن أمية : ياأبا طالب ، ترغب عن ملة عبدالمطلب ؟

فلم يزالا يكلمانه حتى قال — آخر شيء كلمهم به — على ملة عبد المطلب.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لأستغفرن لك مالم أنه عنه» (١)

ومات عبد المطلب بعد الخروج من الشعب بشهر تقريبا وقبل الهجرة بثلاث سنوات. وبعد موته بأيام اسلمت خديجة روحها لبارئها أيضا وجاورت الرفيق الأعلى آمنة مطمئنة.

وبموتهما اشتد إيذاء قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن آمن به

إلى الطائف

وتوجه النبي صلى الله عليه وسلم الى مدينة الطائف، طالبا منهم حمايته؛ حتى يؤدى رسالة ربه، فأقام فيها شهرا يدعوهم إلى الله صباح مساء، وهم يغرون به سفهاءهم وعبيدهم وأطفالهم؛ يسبونه ويرجمونه حتى، تخضبت نعلاه بالدماء، وكان صلى الله عليه وسلم إذا أزلقته الحجارة قعد إلى الأرض مما به فيأخذون بعضديه ويقيمونه، حتى اذا مشى رجموه وهم يضحكون.

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم منها وبه من الهم والحزن ما الله به عليم وفى الطريق آوى الى الظل وصلى لربه وقال: «اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، ياأرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين، الى من تكلنى؟ الى عدو بعيد يتجهمنى (٢)، أو الى صديق قريب ملكته أمرى، ان لم تكن غضبانا على فلا أبالى، ان عافيتك أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أضاءت له السموات، وأشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة — أن ينزل بى غضبك أو يحل

---

(١) البخاري (٢) يتجهمنى — يلقاني بوجه كريه

بى سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولاقوة الا بك » س

ولم يدخل صلى الله عليه وسلم مكة الا بعد أن أجاره المطعم بن عدى أحد عظماء قريش ونادى فى قومه : « انى قدأجرت محمدا فلايؤذه أحدمنكم»

أبو ذر

قال : « كنت رجلا من غفار ، فبلغنا أن رجلا قد خرج بمكة يزعم أنه نبي ، فقلت لأخى: «انطلق إلى هذا الرجل كلمه وأتنى بخبره ، فانطلق فلقيه ، ثم رجع فقلت له : ماعندك ؟ فقال : والله لقد رأيت رجلا يأمر بالخير وينهى عن الشر، فقلت له : لم تشفنى من الخبر .

فأخذت جرابا وعصا ثم أقبلت الى مكة ، فجعلت لاأعرفه ، وأكره أن أسأل عنه ، وأشرب من ماء زمزم وأقوم فى المسجد .

فمر بى على فقال : « كأن الرجل غريب ؟ » قلت : نعم ، قال فانطلق إلى المنزل ، فانطلقت معه ، لا يسألنى عن شىء ولا أخبره ، فلما أصبحت غدوت الى المسجد لأسأل عنه ، وليس أحد يخبرنى عنه بشىء ، فمر بى على فقال : «أما نال للرجل أن يعرف منزله بعد ؟ » قلت لا ، قال انطلق معى ، ماأمرك ؟ وما أقدمك هذه البلدة ؟ فقلت له : ان كتمت على أخبرتك ، قال : فانى أفعل ، قلت له : بلغنا أنه قد خرج هاهنا رجل ، يزعم أنه نبي ، فأرسلت أخى ليكلمه فرجع ولم يشفنى من الخبر فأردت أن ألقاه» فقال : أما انك قد رشدت ، هذا وجهى اليه ، فاتبعنى ، ادخل حيث أدخل ، فانى ان رأيت أحدا أخافه عليك ، قمت الى الحائط ، كأنى أصلح نعلى . وامض أنت .

فمضى ومضيت معه حتى دخل ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له : «أعرض على الاسلام» فعرضه فأسلمت مكانى ، فقال لى : «ياأباذر

اكتم هذا الأمر ، وارجع الى بلدك فاذا بلغك ظهورنا فأقبل» فقلت : والذى بعثك بالحق لأصرخن بهـا بين أظهرهم» فجاء الى المسجد وقريش فيه فقال : «يامعشر قريش . انى أشهد أن لااله الا الله وأشهد أن محمداعبده ورسوله» فقالوا : «قوموا الى هذا الصابئ» فقاموا فضربت لأموت ، فأدركنى العباس فأكب على ثم أقبل عليهم فقال : «ويلكم تقتلون رجلا من غفار ومتجركم وممركم على غفار» فأقلعوا عنى . فلما أن أصبحت الغد رجعت فقلت مثل ماقلت بالأمس ، فقالوا: «قوموا الى هذا الصابئ» فصنع مثل ماصنع بى بالأمس فأدركنى العباس وقال مثل مقالته بالأمس (١)

بشـارات

(١) والقرآن من أول يوم نزل فيه لايفتأ يبشر المؤمنين بحفظه الى الأبد «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» سورة الحجر

كما يكرر لهم فى كل سورة وفى كل قصة تباشير النصر والظفر والمكانة وهم المستضعفون المضطهدون «حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا» وانك ترى مثل هذه الآيات فى القرآن كثيرا ولا سيما فى السور المكية .

(٢) وانتصر الفرس الوثنيون على الروم انتصارات باهرة ، فأخذوا دمشق والقدس عام ٦١٤ م وفى ٦١٩ استولوا على مصر ، وكانوا من قبل قد استولوا على اليمن ، وبذلك تضى على معظم أملاك الدولة الرومانية فى الشرق ولكن القرآن أنبأ بأن الروم ستغلب الفرس كما ترى فى أول سورة الروم ،

---

(١) البخارى

وقد تحققت نبوءته فانتصر الرومان وأعادوا مجدهم من جديد وهزموا الفرس في عدة مواقع [1]

الاسراء

وأراد ربك أن يرى نبيه صلى الله عليه وسلم الأرض المقدسة موطن إخوانه الأنبياء ومهبط الوحي في الزمن القديم — فجاءه «جبريل» ملك الرب ليلا وأركبه على البراق — وماهي إلا طرفة عين حتى وصلا إلى المسجد الأقصى هيكل سليمان.

وليس ذلك بعجيب عند الرب القادر على كل شيء، فان هذا أمر سهل عنده، وقد يركب أحدنا الآن منطادا فينتقل من قطر إلى قطر، ومن قارة الى أخرى في زمن وجيز، وربك القادر قد أتى ببراق كالبرق الخاطف في سيره أسرع من مناطيد الناس. «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١» سوره الاسراء

والمسجد الأقصى في هذا الحين كان في حال يرثى لها وأبان الله لنبيه السبب الذى من أجله نقم من اليهود بتخريب هذا المسجد

«وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ٤ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ

---

(١) راجع كتاب العصور الوسطى ص٢٨

وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ٦ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ٧ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ، وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ٨» سورة الاسراء

واليهود بعد سليمان نبذوا شريعة الرب ، وعبدوا البعل ، وقتلوا الأنبياء فسلط الله عليهم أهل بابل فهدموا المسجد وأحرقوا التوراة وأسروهم الى بلادهم، وهذه هى العقوبة الأولى للفساد الأول .

ثم ردهم الله الى موطنهم ولكنهم مالبثوا أن رجعوا الى عاداتهم الأولى وجاءهم المسيح عيسى بن مريم رسولا من عند الله يدعوهم الى البر والفضيلة ، فاضطهدوه وكفروا به — وقتلوا يحيى ، فحرك الله عليهم قلوب الدولة الرومانية فنكلت بهم ، وأحرقت توراتهم وخربت مسجدهم وشردتهم فى أقاصى الأرض من سنة ٧٠ من الميلاد .

وأبان الله لهم هنا فى قرآنه المجيد أنهم لو عادوا للشر لعاد للعقوبة .

فانظر الى تلك الآيات التى نزلت بمناسبة الاسراء وهى ترى للمسلمين

ونبيهم صلى الله عليه وسلم أن الاستعمار الاجنبي عقوبة من الله للتاركين للشريعة المفسدين فى الأرض ، المقترفين الاثم .

ولما أسرى به صلى الله عليه وسلم أصبح يحدث نفرا من قريش ، فصاروا يستهزئون به وطلبوا منه آية فوصف لهم بيت المقدس ، وذكر لهم قصة العير فقال الوليد : «هذا ساحر»

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لما كذبنى قريش — قمت فى الحجر

بجلا الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه »[1]

المعـــراج

وكما أرى الله لنبيه آثار الأنبياء السابقين ، ومسجده الأقصى ــ أراه أيضا ملكوت السموات ؛ ليشاهد الافلاك واتساقها ، والكواكب وسكانها والملائكة وعبادتها ، والأرواح ومكانتها ، والجنة وحقيقتها ، ولقاء الله فى حضرته ، . عرج النبى صلى الله عليه وسلم الى ربه كما تعرج اليه الملائكة والروح وكان روح القدس يأخذ بيده ويؤانسه ، ويؤيده ويلازمه .

وكمال الذات المحمدية القدسية ، انما هو بتلك المشاهدة والمناجاة ــ وهذا الوقت قد أخذ منه فرضية الصلاة ، والصلاة صلة بين العبد وربه فى هذه الدنيا حتى يصل الوصل التام فى تلك الحياة الأخرى .

كانت الحواس متيقظة ، والروح متنقلة ، وقد امتلأت ايمانا وحكمة واغتسلت بماء القداسة لتتجرد عن المادة . وارتفعت فى المشاهدة سماء فسماء حتى سمعت صريف الأقلام ، وقرأت كلمات من اللوح ، ووصلت عند شجرة العلم التى ينتهى اليها الخلائق ، ورأت جنة الخلد وماغشيها من نور الخالق ، وهناك رأت جبريل فى صورته المنزهة عن المادة والتمثيل ــ ثم غابت عنها كل تلك الذوات فلم تر فى الوجود الا الواحد الحى القيوم ، ومن ثم حق الوصول وفرضت الصلاة .

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

---

(١) البخارى

الروح لو كشف عنها الحجاب لأبصرت الملكوت خيثما كانت — والنبي صلى الله عليه وسلم عرج به فى اليقظة لا فى المنام .

قال الأستاذ المصلح الشيخ السيد رشيد رضا : « الاسراء ثابت بنص القرآن فهو قطعي ، والمعراج روى من طرق متعددة فى الصحيحين وغيرهما تدل جملتها على صحة أصله ، على ما فيها من التعارض والاختلاف فى كونه وقع فى اليقظة أو فى المنام . (١)

والجمهور على أنه (المعراج) بالروح والجسد ، لأن الأنسان روح فى جسد . . .

والمعقول فى فهمها أن تكون الروحانية هى الغالبة على الجسمانية فيها — فيكون الرسول صلى الله عليه وسلم فيها كالملك حين يتمثل بصورة جسدية — كما تمثل جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم مرارا . . . ، وكما تمثل للسيدة مريم عليها السلام ، وكما تمثل غيره من الملائكة لابراهيم صلى الله عليه وسلم — وبهذا التقريب يزول كل إشكال فى فهمها ،

فان الروح إذا غلب سلطانها على الجسد تلطفه فيخف ، ويكون كالأثير الذى يفرضه علماء الكون فى نفوذه من الكثائف ، وتقطع به المسافات الشاسعة بسرعة النور ، أو أسرع من الأثير — نقول هذا على طريقة التقريب للفهم، وعالم الغيب لا تعرف أسراره ، وتتجلى أنواره إلا لمن زج فيه (٢)

وجملة القول فى شق الصدر مختلفة من عدة وجوه — وأقواها أنه كان ليلة الاسراء بعد البعثة — وحملها بعضهم على التعدد .

وقد كانت فى حالة بين النوم واليقظة — وفى رواية شريك (فى البخارى)

---

(١) م ٣٢ ج ١٠ ص ٧٤٠ مجلة المنار المرلد

(٢) م ٣٢ ج ١ ص ٢٦ منار

فى حالة النوم ، لأنه يقول فى أولها : « بينا أنا نائم » وفى آخرها : «ثم استيقظت » .

والاختلاف فيها كالاختلاف فى سائر أخبار تلك الليلة — سببها أنها اخبار عن أمور غيبية ، فالاحاطة بها تتعذر أو تتعسر .

والظاهر من مجموعها أنها تمثيل لحفظ نفس النبي صلى الله عليه وسلم وقلبه ، من حظ الشيطان من سائر بنى آدم بالوسوسة والاغواء — فالمراد منها أن الله تعالى طهر نبيه وصفيه من كل مالا يليق بمنصبه الأعلى من الشهوات والأهواء التى هى موضوع وسوسة الشيطان — وكثيرا ماتتمثل المعانى بالصور الحسية فى المنام وفى الكشف الروحانى ، كما ثبت فى رؤى النبى صلى الله عليه وسلم الكثيرة وفى رؤيا يوسف عليه السلام ، والرؤى التى أولها لصاحبيه فى السجن ثم لملك مصر » (١)

يسألون اليهود

بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبى معيط ، إلى أحبار اليهود المدينة — ليسألاهم عن النبي ويصفا لهم صفته ويخبراهم بقوله — فقال لهما اليهود : سلوه عن ثلاث — فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول

(١) سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول — ما كان أمرهم فانه كان أمر عجيب

(٢) وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان منبؤه

---

(١) م ٣٣ ج ٤ ص ٧٢٨ منار

(٣) وسلوه عن الروح ماهو ؟ »

فلما قدما على قريش قالا قد جئنا كم بفصل ما بينكم وبين محمد » لجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه (١)

إجابة القرآن

(١) قص عليهم قصة أهل الكهف (من ٩ — إلى ٢٦ سورة الكهف) فكانت كما عند اليهود ، حيث أن فى التلمود قصة مشهورة لهؤلاء الفتية (٢)

(٢) قص عليهم تاريخ اسكندر ذى القرنين وانتقاله من بلاد الغرب (مَغْرِبَ الشَّمْسِ) إلى بلاد الشرق (مَطْلِعَ الشَّمْسِ) وحوادثه مع التتار والمغول (يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ) (٨٣ — ٩٨ سورة الكهف)

(٣) أخبرهم أن الروح أمر ربانى . وليس عندهم من العلم ما يوصلهم إلى فهم حقيقتها «ويَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا ٨٥ إسراء »

وإلى الآن لم يد ص العلماء جميعا للوقوف على كنه الروح ، وهذا من إعجاز القرآن

من أمر ربى

كل مايقع .. ة وتقدير — وهو عالم الأجسام وعوارضها — يقال

---

(١) ابن أبي ... ق ابن اسحاق

(٢) راجع ... العرب ص٨٩

إنه من عالم الخلق — والخلق هنا بمعنى التقدير لا بمعنى الايجاد ...

وما لا كمية له ولا تقدير فيقال له أمر ربانى ...

وكل ماهو من هذا الجنس من أرواح البشر والملائكة يقال إنه من عالم الأمر فعالم الأمر عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والخيال والجهة والمكان والتحيز » [١]

غرور

اليهود — جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم : يبلغنا عنك أنك تقول «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» ايانا تريد أم قومك ؟

النبي :— كلا كما عنيت

اليهود :— أوتينا علما كثيرا ، أوتينا التوراة — ك

النبي :— هى فى علم الله قليل (ابن اسحاق)

القرآن :— وَلَوْ أن مَا فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبحُرٍ مَانَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ ، إن اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٧ سورة لقمان

---

(١) للمضنون الصغير للغزالى

الغيب او الآيات المتشابهات[1]

هب إنسانا لم ير النور وعاش فى الظلمة طول حياته وأردت أن تصف له النور الذى تتجلى فيه الأشياء بألوانها فما الذي تقوله له ؟ أنت لاتستطيع أن توقفه قط على كنه النور إلا بضرب الأمثال ، كما لاتقدر أن تسميه باسمه الا اذا لقنته إياه تلقينا يحفظه دون فهم حقيقة المسمى .

هذا فى عالم المحسوسات ، فما بالك بالعالم الذى وراء هذه المادة .

فاعلم وثق أن عالم الغيب — الذات الالهية المقدسة ، وذوات الملائكة والأبالسة والناس واللوح والقلم والجنة والنار والحياة الأخرى — كل هذا لايفهم وصفه الا بضرب الأمثلة ، وشتان مابين الحقيقة والمثال .

قال الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين ص٨٩ ج ١ : «بل فى صفات الله عز وجل من الخفايا ماتقصر أفهام الجماهير عن دركه ، ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها الا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرهما — حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم ، اذ كان لهم من الأوصاف مايسمى علما وقدرة ، فيتوهمون ذلك بنوع مقايسه .

ولو ذكر من صفاته ماليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء — لم يفهموه بل لذة الجماع إذا ذكرت للصبي أو العنين ، لم يفهمها إلا بمناسبة إلى لذة المطعوم الذى يدركه ، ولا يكون ذلك فهما على التحقيق ، والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته ، وعلم الخلق وقدرتهم ، أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل

---

(١) قال الراغب الاصفهاني فى مفرداته : المتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى، وأوصاف يوم القيامة فان تلك الصفات لاتتصور لنا اذ كان لا يحصل فى نفوسنا صورة علم منه لم يكن أو نحس

وبالجملة فلا يدرك الانسان إلا نفسه وصفات نفسه ، مما هى حاضرة له فى الحال أو مما كانت له من قبل — ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره . ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتا فى الشرف والكمال . فليس فى قوة البشر إلا أن يثبت لله تعالى ماهو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكمل وأشرف ، فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه ، لا على مااختص الرب تعالى به من الجلال »

كل ماترتقى إليه بوهم — من جلال وقدرة وسناء
فالذى أبدع البرية أعلى — منه، سبحان مبدع الأشياء

وواضع اللغة لم يضع ألفاظا خاصة لما وراء المادة ، لأنه إنما يضع الناس الألفاظ على الأشياء التى يشاهدونها — لذلك احتاج كل شرع يريد أن يخبرك عن شىء من عالم الغيب أن يستعير الفاظا من جلابيب اللغة التى اصطلح عليها الناس ولا يعلم تأويل تلك الألفاظ إلا الله

الصلاة

القرآن:—(١) مامن ذرة فى الكون إلا وهى ترتل فى كل آونة أناشيد العظمة الالهية والحكمة المنبثة فى كل شىء . والمسلم مندمج فى ذرات الكون ، وناطق معها بتسبيح الرب وتقديسه «وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ٤٩» سورة النحل

٢— والمسلم يناجى ربه كل يوم خمس مرات بخشوع وأدب كما قال الله تعالى «الذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢» سورة المؤمنين

الغزالى :— واعلم أن تخليص الصلاة عن الآفات واخلاصها لوجه الله عز وجل وأداءها بالشروط الباطنة . . . من الخشوع والتعظيم والحياء — سبب لحصول أنوار فى القلب تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة ، فأولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والأرض ، وأسرار الربوبية انما يكاشفون فى الصلاة ص ١٥٢ ج ١ إحياء

القرآن ١ ـ المسلم يقف بين يدى ربه كل يوم خمس مرات تاليا كتابه السماوى ، مشعرا نفسه عظمة خالقه ، ومنكمشا من ذنب أحدثه ، راجيا من ربه غفرانه ، معاهدا اياه على ترك هذا الأثم (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ٤٥)سورة العنكبوت

٢ ـ كلما قام المسلم الى الصلاة ذكر خالقه وحكمته وعلمه ورحمته ، فالصلاة تذكرك الرب كما قال الله لعبده موسى النبى « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي »

الغزالى :— فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ، ولذلك قال بعض الصحابة : يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة . . . ولقد صدق ؛ فانه يحشر كل على ما مات عليه ، ويموت على ما عاش عليه ويراعى فى ذلك حال قلبه ، لا حال شخصه . فمن صفات القلوب تصاغ الصور فى الدار الآخرة ، ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم ص ١٤٦ ج ١ إحياء

النبى :— ١ خمس صلوات كتبهن الله على العباد ، من أتى بهن لم يضيع

منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له (ح د ن ج)

(٢) : قال الله عز وجل : «قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ماسأل ، فاذا قال العبد : « الحمد لله رب العالمين » قال الله : « حمدنى عبدى . فاذا قال : « الرحمن الرحيم » قال الله : « أثنى على عبدى » فاذا قال : «مالك يوم الدين » قال : « فوض إلى عبدى » فاذا قال : « اياك نعبد وإياك نستعين» قال : « هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل » فاذا قال : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال : « هذا لعبدى ولعبدى ماسأل » (م ح ن ت د)

(٣):« ان أحدكم اذا قام فى صلاته فانه يناجى ربه » خ

(٤) : «ان الشيطان فى الصلاة يخطر بين المرء ونفسه :اذكر كذا لما لم يكن يذكر » ق

(٥) : «من توضا نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لايحدث فيهما نفسه ـ غفر له ماتقدم من ذنبه

(٦) قال عبد الله بن عوف : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء» ت

الغزالى :ــ وأما الركوع والسجود فينبغى أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه . . . ثم تستانف له ذلا وتواضعا بركوعك ، وتجتهد فى ترقيق قلبك وتجديد خشوعك . . . ثم تهوى الى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة ، فتمكن أعز أعضائك ـ وهى الوجه ـ من أذل الأشياء وهو التراب . . . وإذا

وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ، ورددت الفرع الى أصله فانك من التراب خلقت واليه تعودص ١٥١ ج ١ إحياء

القرآن والتاريخ

قص الله سبحانه فى القرآن تاريخ كثير من الأنبياء ـ وقد قام ينتقد وثنية العرب وكثيرا من عادات اليهود ـ ولسان النبي هو لسان العرب ـ واليهود فى المدينة عندهم توراتهم وتلمودهم ولسانهم عربى ـ أفلا يقوم هؤلاء اليهود والعرب قومة رجل واحد فيؤلفوا تاريخا كما يسمعون من القرآن — كلا فالقرآن روح من أمر الله لا يستطيع الناس أن يأتوا بمثله ولو اجتمعوا له قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨ اسراء)

ان العرب كانوا يجهلون تاريخ الرسل جهلا تاما وهاهو ذا القرآن يسجل عليهم هذا الجهل فى غير ما آية «تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ» ٤٩ (هود)

وقد حقق التاريخ والاكتشافات الحديثة صحة كل هذه الانباء التى جاء بها القرآن الكريم

حكمة التاريخ

لم يورد القرآن المجيد حوادث التاريخ سردا ، بل استخلص من كل قصة

مثات العبر «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» ١١١ سورة يوسف

«نموذج» من تاريخ سليمان

القرآن — وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ١٥ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ١٦ سورة النمل

المسلم : — العلم أفضل شيء يحمد عليه المولى سبحانه .

للطير منطق يتفاهم به بعضه مع بعض ، وقد علمه سليمان بن داود

القرآن — حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٨ سورة النمل

المسلم : — النملة تأمر أخواتها بالدخول فى المسكن خوفا على حياتها كأن للنمل ملكة تخاطبه و يعمل بأوامرها .

هذه الآية تعلمنا حكمة كبيرة . وهى أن القوى يهلك الضعيف بدون أن يشعر فلو أن النمل ظل فى مكانه لوطئته جنود سليمان وأعدمته وهو أمة كأمم الناس إذا كان النمل يتخذ الاحتياطات التى تقيه فيبنى المساكن المنظمة ، ويفر

من الهلاك ، فواجب على بني الانسان أيضا أن يقلدوه — كما يجب عليهم أن ينظروا إلى الأمم الضعيفة نظرة عطف

القرآن — وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ امْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ؟ ٢٠ سورة النمل

المسلم : — إن سليمان كان يتعهد تربية الطيور ويعرف عددها ، وهاهو ذا يسأل عن الهدهد

القرآن — اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ٢٨ سورة النمل

المسلم — سليمان يستخدم الهدهد فى البريد — يجب على أن أقتدى به فأستخدم الطيور فى حمل الرسائل

وأخيرا اهتدى المسلم الى الحمام الزاجل

القرآن — قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ٣٢ سورة النمل

المسلم : — هذه الملكة عادلة عاقلة غير مستبدة — يشترك معها شعبها — لها مجلس شورى لا تصدر قرارا دونه .

يجب أن يكون كل ملك هكذا ، وكل وال كذلك

القرآن — قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ٣٤ سورة النمل

المسلم — نعم استعمار الملوك والأمم الاجنبية — ذلة وهوان وعبودية وفساد . . .

وفساد ، حافظ على الوطن من الاستعمار الأجنبي .

انظر الى هذه الآيات القصار كيف كانت بذور الحضارة والمدنية التى ارتقى بها المسلمون أيام مجدهم ونقلها عنهم الأوروبيون ـ وقد قام المسلمون اليوم يأخذون بها لينهضوا كما نهضوا من قبل

اليهود قبل الهجرة

سرد القرآن ماارتكبه اليهود أيام نبيهم موسى من عبادة العجل وايذائه ومخالفته كما تراه فى سورة الأعراف المكية مفصلا

وأبان الله سبحانه السبب الذى من أجله شدد عليهم فى التشريع بقوله :

«وَعَلَى الذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ، وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إلاَّ مَاحَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ، ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ» ١٤٦ سورة الأنعام

وذكرهم بتحريفهم التوراة بقوله «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هٰذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ، وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقُولُوا عَلَى اللهِ إلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَافِيهِ ، وَالدَّارُ الآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ» ١١٩ سورة الأعراف

وكان اليهود وهم فى المدينة اذا أخبروا بما فعله النبي وماقاله صدقوه :

«أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ١٩٧» الشعراء

النصارى قبل الهجرة

أقام القرآن الأدلة المتعددة على بطلان بنوة المسيح وغيره، وأبان أنها قائمة على الظن والهوى: «ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٣٥» مريم

وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد من نصارى نجران، فوجدوه فى المسجد فجلسوا اليه وسألوه — ورجال من قريش حول الكعبة ينظرون فلما فرغوا دعاهم صلى الله عليه وسلم الى الله وتلا عليهم القرآن فاسلموا ورجعوا الى قومهم.

واعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش قائلين لهم: «خيبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم، ترتادون الأخبار لهم لتأتوهم بخبر الرجل - لانعلم ركبا أحمق منكم» فقالوا لهم سلام عليكم ولم يقاوموا الشر بالشر

وأنزل الله: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ٥٢ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ٥٣ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٥٤ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ٥٥» سورة القصص

ملة ابراهيم او دين الفطرة

أول شيء يفكر الانسان فيه الكون ، ومن أوجده — وهذا التفكير غريزة فطر عليها

وهكذا فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام — نظر فى ملكوت السموات فى النجم ثم فى القمر ثم فى الشمس - وقد ظهر له أن خالقه فوق كل هذا حيث لا يشبه الصانع شيئا من صنعته ، وعرف أن كل شيء له غاية من وجوده ، وغاية الانسان التخلق بأخلاق ربه ، وأعظم لذة له الاتصال به ولقاؤه — فتوجه بقلبه الى الخالق سبحانه ولم يجعل لغيره سبحانه عليه من سلطان ، فهو حر لا واسطة بينه وبين ربه : «إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٧٩» سورة الأنعام

وابراهيم لما وجد أن أهل قريته يضطهدونه ويريدون منه أن يكون عابد صنم مثلهم ، فر بدينه الى الأرض المقدسة بلاد الشام والعرب ، وقال انى مهاجر الى ربى

وابراهيم بنى الكعبة فى واد غير ذى زرع لكى لا تكون مطمح أنظار الأمم المستعمرة لأنه يحب الحرية «إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ» لهذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتبع هذه الملة السمحاء دين الفطرة شريعة ابراهيم : «ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»

فالمسلم يأخذ دينه من الله مباشرة بلا وساطة كهنة أو قسيسين — الذين

كانوا السبب فى تفريق اليهود والنصارى إلى فرق متعددة — لأنهم أبعدوا الجمهور عن الله وقادوه بأهوائهم ونزعاتهم

«وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ٦٦ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٦٧ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٦٨ » سورة الجاثية

وقال سبحانه أيضاً : «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ، إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ١٥٩ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦٠ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٦١ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ١٦٢ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ » سورة الأنعام

جاء فى المجلة الفرنسية « ليس فى الاسلام البتة ، لاطقوس دينية ، ولاأسرار كهنوتية ، ولاكهان ولاهياكل ... بل فيه أن الانسان شفيع نفسه أمام خالقه ، فتراه يرجو بذاته رحمة ربه وغفرانه ، وبعبارة الاصطلاحات الدينية : الاسلام يعد وجود الجمعيات الكهنوتية والسلطة الروحية من البدع المضادة لنص العقيدة »

والاسلام هو ذلك الدين السهل ، الذى ليس فيه حرج ولا إصر ولا أغلال

ولا وساطة وسيكون دين الجميع فى القريب إن شاء الله . قال كانت الألمانى :
« الديانة الحقيقية الوحيدة ، لاتحتوى إلا على قوانين أعنى قواعد صالحة للجرى عليها ، نشعر من ذاتنا بضرورتها المطلقة ، وتكون مجردة عن الأساطير والتعاليم الكهنوتية »

كتاب الكون

اتبع الاسلام فى تقرير عقائده طريقة المحاورة والاستنباط ، فلفتهم الى الكون لينظروا ، ثم سألهم ليجيبوا

يأمرهم بقراءة كتاب الكون ، والكون حروف ناطقة منسقة ومنظمة تنبىء عن الحكمة والرحمة

فالاسلام له كتابان — كتاب سماوى يبرز لك الحقيقة كأنك تراها وتلمسها وهو يدعو الناس صباح مساء الى تدبره وا كتشاف أسراره «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ » وأبان لهم بانه لن يزال يظهر فى كل يوم بسر من أسرار العلوم وحقيقة من حقائق الاعجاز :« وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ »

والكتاب الآخر كتاب الخليقة ، وأوجب عليهم البحث فيه وقراءته بانفسهم وتنبأهم بانه ستظهر أسراره يوما بعد يوم بالتدريج ،حتى تتقابل الحقائق المنطبعة فى الكتابين «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٥٣»
سورة فصلت

والقرآن مفعم بالآيات والسور التي تأخذ بيدك الى معرض الخليقة لتنظر وترى ،وهو فى ذلك يجذبك بنور قدسى لطيف يسرى فيك سريان الماء فى العود .

قال جبير بن مطعم : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ٣٧» كاد قلبي أن يطير للاسلام» (١)

فالاسلام دين الفطرة وقد توجه اليه مفكرو الأوربيين الآن وسيدخلون فيه أفواجا قريبا كما تراهم اليوم

قال الأستاذ الطائر الصيت كاميل فلا مريون سكاتا ـ ردا على الجامدين « كلا فلن يستطيعوا أن يوقفوا تقدمنا الى دين سام ، لم نتوصل اليه بعد ولكننا سائرون اليه سيرا حثيثا، وهذا الدين هو الاعتقاد بالله الحق بواسطة العلوم الصحيحة ، وسمونا الى معرفة الحقيقة بدرس نواميس الخليقة »

وقال العلامة درابر:« ان المسيحية لبثت فى أوربا ألف سنة فلم تنجب عالما واحدا ، ولم يلبث الاسلام سنين معدودة حتى نبغ فيه من أراكين العلم وأساطين الفلسفة »

صفحة من كتاب الكون

القرآن — وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا

---

(١)رواه البخاري ومسلم

وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ١٥٠ سورة يوسف

المسلم :— الكون كله آيات يجب أن أقرأها

تأمل فى سطور الكائنات فانها من الملأ الأعلى اليك رسائل

وقد خط فى لوح الوجود يراعها ألا كل شىء ماخلا الله باطل

القرآن — وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ، مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ١٣٨ سورة الأنعام

المسلم — كل حيوان وطير ، أمم مثلنا ، فمن الجهل أن أغفل عما وهبها الله فنحن جميعا مملكة حيوانية

القرآن — وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ٢٩ سورة الشورى

المسلم — فى الأرض مخلوقات فيها حياة ، وفى السموات مخلوقات فيها حياة أيضا

القرآن — خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ، أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ٥ سورة الزمر

المسلم — الكون مخلوق بالحكمة ـ والليل متكور على النهار ـ والنهار متكور على الليل لماذا ؟ والشمس والقمر سخرهما الله لنا ، ويجريان بنظام الى أن ينتهى أجلهما

القرآن — هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٥ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ٦ سورة يونس

المسلم — الشمس لها حرارة ونور أما القمر فنور فقط

للقمر أوجه فى كل شهر جعلها الله لنعرف بها الشهور والسنين والحساب ثم ينشأ اختلاف الليل والنهار حتى تحدث الفصول ويطول الليل فى الشتاء ويقصر فى الصيف ، يجب أن أفكر

القرآن — لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ٤٠ سورة يس

المسلم — الشمس والقمر والكواكب والنجوم مع كثرتها تسير بنظام واتقان فى افلاكها — فتبارك الله أحسن الخالقين

القرآن — أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ، أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ٣٠ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ٣١ سورة الأنبياء

المسلم — الشمس والقمر والنجوم والكواكب والأرض كانت فى البدء كلها قطعة واحدة ، ففصلها الله سبحانه — فالأرض قطعة من الشمس ، والقمر أيضا

الماء اصل الحياة

الجبال ظهرت بشكل براكين من جوف الأرض الملتهبة ثم رست محافظة الأرض من الاضطراب

القرآن ـ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ١٦ سورة النحل

المسلم :ـ هذه النجوم التى فى السماء علامات نعرف بها الجهات الأصلية والفرعية

القرآن ـ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ٤١ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ٤٢ سورة يس

المسلم :ـ كيف تسير السفن و الاساطيل فى البحر يجب أن أبحث ما أعظم فائدتها

وربنا خلق لنا أشياء نركبها على البر والبحر ان لم نرها نحن فسيراها أبناؤنا « السيارات ، والقطارات ، والمناطيد »

القرآن ـ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ٣١ سورة النازعات

المسلم ـ كل ماء هو من الأرض ماء الآبار والبحار والأنهار ـ المطر ماؤه أيضا من الأرض ـ

كذلك المرعى والنبات يخرج من الأرض أيضا

القرآن ـ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٨٣ سورة غافر

المسلم :— يجب أن أسير فى الأرض وأدرس الآثار وما تركته الأمم الماضية لأعتبر

جاذبية القرآن

زعماء قريش — تسلل كل واحد منهم خفية الى النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون القرآن ، وقد نشر الليل أجنحته ، أخذ كل منهم مجلساوهو لا يعلم بمكان صاحبه .ولما انتهى النبي آخر الليل رجعوا مستخفين ولكن الطريق جمعهم فتلاوموا وقالوا : «لا تعودوا ، فلو رآكم سفهاؤكم لأوقعتم فى أنفسهم شيئا»

ولكنهم عادوا فى الليلة الثانية فتلاوموا وفى الثالثة أيضا ، فلما أصبح أحدهم — الأخنس بن شريق — أخذ عصاه ثم خرج ، فأتى أباسفيان

ابن شريق :— أخبرنا عن رأيك فيما سمعت من محمد

أبو سفيان :— لقد سمعت أشياء أعرفها ، وأعرف مايراد منها ، وسمعت أشياء ماعرفت معناها ولامايراد بها

ابن شريق :— وأنا ... ثم خرج حتى أتى أباجهل : مارأيك فيماسمعت من محمد

أبو جهل :— ماذا سمعت ؟ تنازعنا — نحن وبنوعبد مناف — الشرف أطعموا فاطعمنا ، أعطوا فاعطينا حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك مثل هذه ؟

والله لانؤمن به أبدا ولا نصدقه

القبـــائل

لم يمض عام منذ الرسالة إلا والنبي صلى الله عليه وسلم يوافى الحجاج فى المواقف والأسواق كل موسم يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ، و يأتى إليهم يدعوهم إلى الله، طالبا منهم أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه قائلا : «لا أكره أحدا على شىء ، من رضى الذى أدعوه إليه فذلك ، ومن كره لم أكرهه ، إنما أريد منعى من القتل» فلم يقبله أحد قائلين « قوم الرجل أعلم به »

إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم

كان النبي يصلى عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يأتى بسَلَى جزور بنى فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر ، حتى إذا سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه على ظهره بين كتفيه، وجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة رضى الله عنها فطرحته عن ظهره (البخارى)

أهل يثرب

وسار النبي صلى الله عليه وسلم كعادته يعظ القبائل فى كل موسم

وفى السنة الثالثة قبل الهجرة لقى صلى الله عليه وسلم ستة رجال من الخزرج ، فوعظهم ودعاهم إلى الحكمة والنور والحياة ، فأسلموا لساعتهم ورجعوا إلى قومهم مبشرين ولم يكد يأتى الموسم العام التالى حتى التقى به

صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا من المدينة: اثنان من الأوس، وعشرة من الخزرج فوصاهم النبي قائلا : « لاتشركوا بالله ، لاتسرقوا ، لاتزنوا ، لاتقتلوا أولادكم ، لاتأتوا ببهتان ، لاتعصونى فى معروف ، لاتنازعوا الأمر أهله ، قولوا الحق حيثما كنتم ، لاتخافوا فى الله لومة لائم ، فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشى من ذلك شيئاً فامره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه»

ولما رجعوا إلى المدينة وتكاملوا أربعين مسلما كتبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم : ابعث الينا من يقرئنا القرآن ، فبعث اليهم مصعب بن عمير ، فاسلم على يديه خلق كثير ، وفى موسم الحج من العام الثالث أوفد مسلمو المدينة سبعين رجلا ومعهم امرأتان الى مكة يدعون النبي الى بلدهم

وفى الليل قابلوه خفية عند العقبة على ميعاد ، فقال العباس : « ان محمدا منا حيث قد علمتم ولقد منعناه من قومنا ، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ، مانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم ـ والا فدعوه »

فقالوا : «يارسول الله خذ لنفسك ولربك ماأحببت»

فقال صلى الله عليه وسلم : «تنصرونى إذا قدمت عليكم فتمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم » فعاهدوه على ذلك

وقال أحدهم : يارسول الله إن بيننا و بين الرجال (اليهود) حبالا وإنا قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال : «أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم»

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه من أصحابه بالهجرة إلى المدينة فخرجوا إليها متسللين

ابو بكر (١)

قالت عائشة : «لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج ابو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد (٢) ، لقيه ابن الدغنة ، وهو سيد القارة فقال : «أين تريد ياأبا بكر ؟ » فقال أبو بكر : أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض ، وأعبد ربى»

فقال ابن الدغنة «فان مثلك لايخرُج ، ولا يخرَج ، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق فانا لك جار ، ارجع واعبد ربك ببلدك» فرجع ، وارتحل معه ابن الدغنة

فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش ، فقال لهم «إن أبابكر لايخرُج مثله ولا يخرَجُ ، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ..»

فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة فقالوا له : «مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره ، فليصل فيها ، وليقرأ ماشاء ، ولايؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا»

فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره .

ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجدا بفناء داره ، وكان يصلى فيه ، ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، وهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلا بكاء لايملك عينيه إذا قرأ القرآن

---

(١) هذا الباب كله من البخارى بالنص
(٢) قبيلة فى بلاد العرب تعرف بالقارة

وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فارسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم ، فقالوا : «انا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك، على أن يعبد ربه فى داره فقد جاوز ذلك ، فابتنى مسجدا بفناء داره فاعلن الصلاة والقراءة فيه ، وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فانهه ، فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل ، وان أبى إلا أن يعلن بذلك — فسله أن يرد إليك ذمتك ، فانا قد كرهنا أن نخفرك ، ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان»

فأتى ابن الدغنة الى أبى بكر ، فقال : «قد علمت الذى عاقدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك ، واما أن ترجع إلى ذمتى ، فانى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له »

فقال أبو بكر : «فانى أرد اليك جوارك ، وأرضى بجوار الله عز وجل»

والنبي يومئذ بمكة فقال صلى الله عليه وسلم للمسلمين : «انى أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين — وهما الحرتان»

فهاجر من هاجر إلى المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر بارض الحبشة الى المدينة .

وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «على رسلك، فانى أرجو أن يؤذن لى» فقال أبو بكر : «وهل ترجو ذلك ؟ بابى أنت وأمى » قال : نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر — وهو الخبط — أربعة أشهر» البخارى

المؤامرة السرية

رأت قريش أن النبي صلى الله عليه وسلم قد سرت دعوته الى المدينة ، وأن طائفة كبيرة من سكانها قد آمنت برسالته وتحالفت معه على حمايته ، وأن أصحابه قد لجأوا اليها ، وغاب على ظنهم تسلل النبي اليها أيضا — وهناك يستطيع أن يثأر لنفسه وصحابته، والمدينة فى طريق تجارتهم الى الشام فيعطلها .

هذا وقد ذاع صيت النبي صلى الله عليه وسلم فى أنحاء الجزيرة العربية كل هذا دعاهم الى أن يعقدوا مجلسا عاما فى دار الندوة واجتمع رأيهم على قتله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا على ذلك .

وجاء الخبر من السماء بكيدهم والاذن فى الخروج ، فما خاف النبي صلى الله عليه وسلم ولا استكان ولم يبك كما بكى المسيح حين تآمرت عليه اليهود .

وتوجه النبي الى أبى بكر توا قائلا : « قد أذن لى فى الخرج » فقال أبو بكر «الصحبة بابى أنت يارسول الله » قال : « نعم » قال : « خذ — بابى أنت يارسول الله — احدى راحلتى هاتين » قال :«بالثمن » قالت عائشة فجهزناهما أحسن الجهاز ، وصنعنا لهم سفرة فى جراب » خ

ولما كان الليل اجتمعوا على بابه صلى الله عليه وسلم يرصدونه ، حتى ينام فيثبون عليه ، فامر النبي صلى الله عليه وسلم عليا فنام مكانه وغطاه بثوبه .

ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار فى جبل ثور

ولما فقدت قريش النبي اغتاظوا وطلبوه بمكة أعلاها وأسفلها ، وبعثوا القافة أثره فى كل وجه ، فوجد الذى ذهب قبل ثور أثره هنالك ، فاقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم .

ولم يكد يقع نظر أبي بكر رضي الله عنه عليهم حتى اشتد حزنه قائلا: «إن قتلت أنا فانا رجل واحد، وإن قتلت أنت هلكت الأمة» فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «لاتحزن إن الله معنا».

وهم المشركون بدخول الغار فقال أمية بن خلف: «وما إربكم إلى الغار إن فيه لعنكبوتا، أقدم من ميلاد محمد».

فكمن النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فى الغار ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو شاب ثقف لقن — فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش كبائت. فلا يسمع أمرا يكتادان به الا وعاه. حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام.

ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم .... خ

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، رجلا من بني الدِّيل هاديا وهو على دين كفار قريش، فأمناه ...

وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فاخذ بهم طريق السواحل — خ

فى الطريق (١)

قال سراقة بن جعشم: «جاءنا رسل كفار قريش، يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما، لمن قتله أو أسره.

فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومي — بني مدلج — إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: «ياسراقة إني قد رأيت آنفا أسودة

---

(١) عن البخاري بالنص

بالساحل ، أراها محمدا وأصحابه » فعرفت أنهم هم ، فقلت له : « إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا » ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فامرت جاريتى أن تخرج بفرسى وهى من وراء أكمة فتحبسها على ، وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت ... حتى أتيت فرسى فركبتها حتى دنوت منهم ، فعثرت بى فرسى ، فخررت عنها فقمت ، فاهويت يدى إلى كنانتى ، فاستخرجت منها الأزلام ، فاستقسمت بها : أضرهم أم لا ؟ فخرج الذى أكره . فركبت فرسى ، وعصيت الأزلام ، تقرب بى ، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يلتفت — وأبو بكر يكثر الالتفات — ساخت يدا فرسى فى الأرض ، حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها — ثم زجرتها فنهضت ... فلما استوت قائمة — إذ لأثر يديها عنان ساطع فى السماء مثل الدخان فاستقسمت بالأزلام . فخرج الذى أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا ، فركبت فرسى حتى جئتهم ، ووقع فى نفسى حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم ، أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم — فقلت له : « إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار مايريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآنى ولم يسالانى إلا أن قالا : « اخف عنا » خ

إلى قباء (١)

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثيابا بيضا .

---

(١) البخاري بالنص

وسمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرّة فينتظرون حتى يردهم حر الظهيرة.

فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما آووا إلى بيوتهم، أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه. فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته: يامعشر العرب هذا جدكم الذى تنتظرون. خ

فى قباء

فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف « بقباء » وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول. فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيى أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله عند ذلك. خ

أما النادى الذى كانوا يجتمعون فيه فكان منزل رجل عزب ولذلك سموه منزل العزاب (١) فكان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمهم فيه الكتاب والحكمة فتسمع المهاجرون منه وقبائل الأوس، دون قبائل الخزرج حيث كان بين هذين الحيين حروب وإحن منذ مئات السنين.

وفى ليلة جاء سعد بن زرارة الخزرجى متقنعا بين المغرب والعشاء حتى لايراه أحد فلما سلم على الرسول قال له صلى الله عليه وسلم: « جئت من

---

(١) وفاء الوفا ص ١٧٥ ج ١

منزلك إلى ههنا وبينك وبين القوم مابينك » قال : « والذى بعثك بالحق ما كنت لأسمع بك فى مكان الا جئت »

فلما أصبح طلب الرسول من أشراف قباء الأوسيين ، أن يجيروه فقالوا : « أنت يارسول الله فأجره ، لجوارنا فى جوارك » فقال : « يجره بعضكم » فقال صاحب النادى : « هو فى جوارى »

ثم ذهب اليه فى بيته فجاء به واضعا يده فى يده على عادة الأصدقاء (١) وهذه أول لبنة فى تاسيس الجامعة الأسلامية الجديدة

وتبرعت أسرة بنى عوف بفضاء مسطح كانت تبسط فيه التمر ليبنى مسجدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إيتونى باحجار » فجمعت عنده أحجار كثيرة فوضع الحجر الأساسى بيده ثم خط لهم حدود المسجد وقال : « ليضع كل رجل حجرا على ذلك الخط » فطفقوا يبنون ويحملون الحجارة ، والنبى صلى الله عليه وسلم يحمل الصخرة أو الحجر حتى يتعبه و يميله فيأتى رجل قائلا : « بأبى أنت يارسول الله أعطنى أكفكه » فيقول صلى الله عليه وسلم : « لا — خذ مثله » (٢)

ولما تم بناؤه سقف بجريد النخل وسعفه ، وأقيمت الصلاة فيه علانية .

إلى المدينة

فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذى أسس على التقوى وصلى به . خ

---

(١) وفاء الوفا ص ١٧٨ ج ١

(٢) وفاء الوفا ص ١٨١ ج ١

ثم استاذنهم صلى الله عليه وسلم فى الذهاب الى المدينة لحزنوا وقالوا : يارسول الله أمللا منا ، أم تريد دارا خيرا من دارنا ؟ » قال : « أمرت بقرية تاكل القرى يقولون يثرب وهى المدينة » (١) .

ثم ركب راحلته فسار يمشى معه الناس حتى دخلوا المدينة ، فاشرقت وأضاء منها كل شئ ، ومافرح المؤمنون بشئ فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وامتلأت الشوارع والأزقة بالتكبير والهتاف : الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء رسول الله .

وصعدت ربات الخدور على بيوتهن يوقعن هذا النشيد بنغمة شجية

طلع البـــدر علينـا　　　من ثنيـات الوداع
وجب الشـكر علينـا　　　مـا دعا لله داع
أيهـا المبعوث فينـا　　　جئت بالأمر المطاع

ووقف اليهود والمشركون أمام هذا الاحتفال العظيم ينظرون نظرة دهشة غير حاسبين للحياة الجديدة التى ستدب فى مدينتهم أى حساب .

وكان صلى الله عليه وسلم كلما مر على دار من دور الأنصار ، يدعونه الى المقام عندهم : يارسول الله هلم الى القوة والمنعة ، فيقول : « خلوا سبيلها . (يعنى ناقته) فانها مأمورة » وقد أرخى زمامها وما يحركها وهى تنظر يمينا وشمالا حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين ، وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين فى حجر سعد بن زرارة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته : « هذا إن شاء الله المنزل » .

---

(١) وفاء الوفا ص ١٨٣ ج١

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين ، فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا ، فقالا : « بل نهبه لك يارسول الله » فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما .خ

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب اللبن ، ورأى رجلا يحسن عجن الطين وكان من حضر موت فقال : « رحم الله رجلا أحسن صنعته — الزم أنت هذا الشغل فانى أراك تحسنه » . (١)

وجاء رجل آخر من اليمامة وكان صاحب علاج وخلط طين ، فاخذ المسحاة يخلط الطين ، والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليه وكأنه أعجبه عمله فقال : « قربوا اليمامى من الطين فانه أحسنكم له مسكا » . (٢)

وأتوا بحجارة أسسوا بها المسجد وهم ينشدون ويترنمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم ، وبينما هو ينقل حجرا ثقيلا إذ لقيه رجل و فقال : « يارسول الله أعطنيه » فقال : « اذهب فاحتمل غيره فلست أفقر إليه منى » .

ولما رفعوا الأساس بالحجارة أكملوه باللبن ، والنبي صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن فى بنيانه ويقول : (٣)

اللهم إن الأجر أجر الآخره   فارحم الأنصار والمهاجره .خ

ونفخ النبي صلى الله عليه وسلم بذلك روح النشاط فى صحابته فنهضوا يعملون بجد لم يُرَ فيهم من قبل وهم ينشدون :—

لئن قعدنا والنبي يعمل   لذاك منا العمل المضلل (٤)

---

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ وفاء الوفا ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ج ١

وكانوا يحملون لبنة لبنة ، وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبي فجعل ينفض التراب عنه ويقول : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » خ

ولما بلغ البنيان طول رجل أقاموا فى رحبته سوارى من جذوع النخل ، ثم طرحوا عليها الجريد .

وفرشوا أرضه بالحصباء وكان اذا أتى الليل بظلمته أوقدوا فيه سعف النخل ليضيء لهم .

وبنوا للنبي صلى الله عليه وسلم بجوار المسجد ثلاث حجرات، : الأولى لزوجته سودة التى تزوجها بعد خديجة فى مكة ، والثانية لعائشة التى سيدخل عليها ، والثالثة لابنته فاطمة

بنوها باللبن وعرشوها بجريد النخل وكان السقف قريبا ينال بالأيدى ، وجعلوا لكل حجرة بابا يغلق عليها .

وكلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زوجة بنوا لها حجرة خاصة

دين السلام

ولم يكن ببلاد العرب فى ذلك الوقت حكومة أو نظام بل كان النزاع دائما والفوضى شاملة .

فبدأ النبي صلى الله عليه وسلم بوضع نظام ثابت لهذه الجمهورية التى يريد تأسيسها ، وكتب معاهدات لمنع الترات وإيقاف الشحناء ، ونادى بتحريم القتال فى المدينة وعظمها قائلا «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها ، وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة » ق

اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراما ، وإنى حرمت المدينة حراما ما بين مأزميها لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا يخبط فيها شجرة إلا لعلف . ق »

وساوى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود المدينة وما حولها بالمسلمين فى الحقوق، وتحالف معهم بالاشتراك فى دفاع كل عدو يريد أن يغير على الوطن، وألا يجيروا قريشاً حيث قد اغتاظت لفرار النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وحقدوا على أهل المدينة لايوائهم المسلمين وتهددوهم ، وبأن يقبلوا منهم الصلح إذا دعوا إليه .

وكتبوا بذلك معاهدة .

دين الأخوة

محا الاسلام العداء بين قبائل الأوس والخزرج بعد أن نشبت الحروب سنين طويلة وهلك من هلك من النفوس والأموال . . . ورسول الله سماهم جميعاً الأنصار وآخى بينهم وبين المهاجرين إلى مدينتهم، بل وبين المهاجرين الذين هم فى الحبش ليشعروا جميعاً بأنهم جسم واحد أينما كانوا .

وعاشوا على وفاق تام بفضل هذه الجامعة الجديدة ، وأظهر الأنصار نجدة لم يعرفها التاريخ من قبل ، آثروهم على أنفسهم ، وتوارثوا معهم بعد موتهم ، حتى قال المهاجرون : ما رأينا مثل أنصار المدينة، لقد أحسنوا مواساتنا، وبذلوا الكثير وأشركونا فى المهنة حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. على أن هؤلاء المهاجرين لم يرضوا أن يكونوا عالة على غيرهم ؛ لأن الاسلام يرفع النفوس إلى درجة عالية ويدفع صاحبه للجد والعمل .

وكانت الأنصار أهل الأرض والعقار ، فقاسموا إخوانهم المهاجرين على أن يعطوهم نصف ثمار أموالهم ، ويكفوهم العمل والمؤونة

ومن كان تاجراً ذهب إلى السوق وأيدى مقدرة على الكسب لم تكن في أهل المدينة أنفسهم حيث قد ألف المكيون التجارة وضربوا فيها بسهم كبير ، ولأضرب لك مثلا :

آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع الأنصارى ، وكان سعد ذا غنى فقال لعبد الرحمن : أقاسمك مالى نصفين وأزوجك » قال : « بارك الله لك فى أهلك ومالك ، لا حاجة لى فى ذلك ، هل من سوق فيه تجارة ؟ » قال : « سوق بنى قينقاع ، فغدا إليه عبد الرحمن فأتى بأقط وسمن وتابع الغدو — فما لبث أن جاء عليه أثر صفرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت ؟ قال نعم قال ومن ؟ قال : امرأة من الأنصار ، قال كم سقت ، قال نواة من ذهب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أولم ولو بشاه » خ

إحيـــاء

النبي صلى الله عليه وسلم : —(١) من عمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها (البخـارى)

(٢) من أحاط حائطا على أرضه فهى له (د — وصححه ابن الجارود)

(٣) من حفر بئراً فله أربعون ذراعا عطنا لماشيته (ج)

(٤) من كانت له أرض فليزرعها ، أو ليحرثها أخاه فان أبى فليمسك أرضه (ق)

المسلمون — قاموا يعمرون ماخرب ، ويحفرون الآبار ويشيدون المنازل ، ويتفننون فى الزراعة ، فإتسعت المدينة اتساعاً عظيما واتصل بعضها ببعض وزادت الثروة ونعشت الحياة

النبي صلى الله عليه وسلم:— (١) الناس شركاء فى ثلاثة فى الكلأ والماء والنار (ح)

(٢) لم يحرم المزارعة ولكن أمر أن يرفق بعضهم ببعض (ت وصححه)

(٣) لو بعت من أخيك ثمراً ، فأصابته جائحة فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئاً بم تأخذ مال أخيك بغير حق ؟ (م)

(٤) لايمنع جار جاره أن يغرز خشبة فى جداره (ق)

(٥) لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ (ق)

(٦) لأن يمنح الرجل أخاه أرضه خير له من أن يأخذ عليها خرجا معلوما (م)

المسلمون — قاموا يواسى بعضهم بعضاً

العمـــل

النبي صلى الله عليه وسلم:— (١) ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده (خ)

(٢) لأن يحتطب أحد على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه) خ

(٣) سئل أى الكسب أطيب ؟ فقال : عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور (رواه البزار وصححه الحاكم)

المسلمون — نهضوا نهضة مباركة فكان فيهم الزارع والتاجر والحداد

والخياط والأجير والحمال وغير ذلك ، وليس فيهم عاطل قط ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرنا بالصدقة — انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل فيصيب المد ، وإن لبعضهم اليوم لمائة ألف .

علي :— «جعت مرة جوعا شديدا ، فخرجت لطلب العمل فى عوالى المدينة ، فاذا أنا بامرأة قد جمعت مدرا . فظننتها تريد بله ، فقاطعتها كل ذنوب على تمرة ، فمددت ستة عشر ذنوبا حتى مجلت يداى ثم أتيتها ، فعدت لى ستة عشر تمرا فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فأكل معى منها (ح) وجود الحافظ اسناده

النساء — وشملت هذه النهضة النساء أيضا (جاءت امرأة ببردة وقالت : يارسول الله — إنى نسجت هذه بيدى أكسوكها) فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم — خ

ولا يخفى ما أحدثه قبوله صلى الله عليه وسلم هديتها من تشجيع للصناعة

سوق المسلمين[1]

القرآن — وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦ سورة المطففين

النبي — أتى سوق بنى قينقاع ، وكأنه لم يرقه ما فيه من التطفيف والغش

---

(١) راجع الفصل السادس عشر من كتاب وفاء الوفا ص ٥٣٩ ج ١

والخراج والغبن والفساد — فذهب إلى جرن بالقرب منه فضرب قبة فيه وقال للمسلمين : هذا سوقكم .

اليهود —اغتاظوا وجاء حبرهم الشاعر كعب بن الأشرف فدخل سوق المسلمين وقطع أطنابها

النبي:—لاجرم — لأنقلها إلى موضع هو أغيظ له من هذا . وذهب صلى الله عليه وسلم إلى جرن واسع داخل البلدة بين حي عظيم من الأنصار وجعله سوقه ثم قال : « لاينقص منه ولا يضرب عليه خراج

السوق —لم يلبث أن ازدحم بالتجار ووفدت إليه القبائل من كل فج

النبي — (١) مر على صبرة من طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال ما هذا ياصاحب الطعام ؟ قال «أصابته السماء يارسول الله» قال أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ، من غش فليس منى (م)

(٢) المسلم أخو المسلم ، لايحل لمسلم باع من أخيه بيعا وفيه عيب إلا بيّنه (ج — ح — ط)

(٣) البيعان بالخيار مالم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما (ق)

(٤) من اشترى طعاما فلا يبعه حتى يكتاله (م)

(٥) لايحتكر إلا خاطىء (م) [1]

---

(١) قال صاحب المعالي الاستاذ محمد حلمي عيسى باشا: «لان الاحتكار يضر بالناس لتعلق حق العامة بالاشياء المحتكرة ، حتى إذا امتنع المحتكر عن بيع أشياء عند شدة الحاجة

إليها ، يعتبر ظالما لانه منع الناس حقهم ، ومنع الحق عن المستحق ظلم ، ولهذا يؤمر بالبيع ازالة للظلم .

وليس أدل علي موافقة هذه الآراء الشرعية لمقتضيات كل زمان ومكان ، وملاءمتها لمصالح الناس كافة مما شاهدناه فى الظروف الحاضرة : من اضطرار الدول الاوروبية والحكومة المصرية ، للعمل بما يطابق هذا الرأى فى القوانين التى سنتها بسبب تأثير الحرب القائمة الآن فى أوروبا (الحرب الكبرى) على الحالة الاقتصادية

ص ١٣٦،١٢ من كتاب شرح البيع فى القوانين المصريه والفرنسية لمعاليه.

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى

